امل حياتي

روايــة لـ

نهى عاصم

***

الطبعة الأولى: ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢ م

عدد الطبعات:الطبعة الأولى

رقم الإيداع:٢٢٢٥٣ / ٢٠٢٢

***

اهداء

إلى نفسي..

نعم ربما للمرة الأولى يتم إهداء كتابٍ ما إلى صاحب الكتاب نفسه، أو ربما حدث هذا قبلًا..لا أدري.

إلى نهى عاصم

نهى التي عاشت معي عدة عقودٍ من الزمان، وتحملتني وأحبتني.

نهى التي تحتاج مني إلى كل الحب والتقدير.

نهى التي هي بالفعل، العديد والعديد من العقول التي تعمل معًا في جسدٍ واحد.

أهديني هذا الكتاب.

نهى عاصم

***

أمل والدَّرَج

أكره هذا الدَّرَج المرتفع الملتوي كثعبان، والذي أصعد عليه متعبةً وأنزل عليه مصابةً بالدوار، وكم مرةٍ رجوتُ مراد – زوجي- أن يسرع في إصلاح المصعد فموعد الولادة اقترب ولكن هيهات، لا أدري لِمَ الرجال أحيانًا يتناسون الأشياء المهمة؟

ينطلق صوت الموبايل الخاص بي بنغمة زوجي* أمل حياتي*، هو ينتظرني في الشارع وهو دائمًا فاقد الصبر، بالرغم من أنني لم أتأخر عليه ولا زال على موعد طبيب النساء ساعةٌ بأكملها.

يا إلهي.. ما الذي حدث لي؟

فتحَتْ حماتي باب شقتها في الدور الأول وصرخت:

أمل يا ابنتي.. هل أنتِ بخير؟

ارتفع صراخ حماتي – طنط سعاد – بهذه الكلمات، وجدتُ نفسي أطمئنها وهي لا تسمعني،

ووجدتُني ملقاةً على الأرض أسفل الدَّرَج وأنا مطللةٌ على نفسي.

ما الذي يحدث لي؟ هل أنا أحلم؟ هل هو كابوس!

أرى بابا حسن - والد زوجي - يصرخ في زوجته:

انتظري لا تحركيها. إنا لله وإنا إليه راجعون، هي تتنفس ولكنها تنزف من رأسها، ولا أعلم إن كان الجنين تضرر أم لا.

لا بد من طلب الإسعاف.

الجنين!! جنيني!

أنا في آخر الشهر الثامن، هل تضرر بوقوعي؟

لقد انتظرته طويلًا بعد سنوات من ولادة التوأمتَين بنتَيَّ الحبيبتَيْن، يا الله! البنتان على وشك الوصول من المدرسة، لا أريد أن تريانى هكذا.

يا رب..

تصرخ طنط سعاد قائلةً: اطرق باب الدكتورة عُلا، فقد تكون موجودةً فتنقذها.

أضحك أنا قائلةً لهذه السيدة الطيبة: للمرة المليون بعد الألف، الدكتورة عُلا دكتورة في الأدب الإنجليزي وليست طبيبة بكلية الطب يا أمي..

ينطلق صوت الموبايل الخاص بي بنغمة زوجي، لعله يعتقد أنني تأخرت عنه عامدةً فتحدث مشكلةٌ أُخرى.
ابتسمتُ ثانيةً من نفسي، فكيف له أن يفتعل معي مشكلةً أُخرى وأنا جثةٌ هكذا؟

يُخرج عمي الموبايل من الحقيبة بهدوءٍ محاولًا عدم تحريكي، ويصرخ في زوجي: اطلع حالًا، زوجتك وقعت من فوق الدَّرَج..

***

في عربة الإسعاف

هل خرجَتْ روحي من جسدي كما قرأتُ يومًا ما في إحدى الروايات؟ وهل ستعود عندما أستفيق؟ هل أنا Ghost؟ ميتةٌ وروحي تهيم إلى جوار جسدي كما في فيلم الشبح

مراد في حالة يرثى لها، لا أدرى أي قوةٍ يعتقدون أنها في الرجل، وكله مواطن ضعف، مسكين

يوم ولادتي للبنتين لم يتحمل ألمي وصراخي وهرب إلى أسفل المستشفى، ويوم وقعَتْ إحداهما واحتاجَتْ لخياطةٍ في ساقها كاد أن يفقد وعيه حينما رأى الدماء، وها هو أمامي يمسك يدي بيَدٍ مثلجةٍ ترتعد. ليتني أستطيع تهدئتك ولكنك لا تشعر بي ولا تسمعني.

مراد صارخًا: أرجوكم، أسرعوا هذه الدماء لا تتوقف.

المسعف: اهدأ سيدي، نحن على وشك الوصول إلى المشفى.

مراد يمسك الموبايل طالبًا صديق عمره الطبيب ياسين مبلغًا إياه أنهم على وصولٍ، قائلًا:

إنها تنزف بشدةٍ من رأسها ولم تفِق منذ وقوعها، أرجوك أحضر طبيب المخ والأعصاب وحاول الاتصال بطبيب النساء والولادة، هي في آخر الشهر الثامن، هي مَن تهمني أولًا.

غريبٌ أمركم يا أزواجنا.. نكون أمامكم فلا نسمع كلمةً حلوةً تشعرنا بمدى حبكم لنا، وعندما تشعرون بأننا سنغيب وقد تُحرَمون منا؛ نرى الحب والخوف جليًا على ملامحكم..

***

في المشفى

يا إلهي.. ما الذي تفعلونه بي؟ تمزقون ثيابي بمقصٍّ جراحي؟

هذا رداء حملي الذي صممتُه بنفسي، كيف لكم أن تكشفوا عن شعري وجسدي هكذا!

ألا تحترمونني؟ أعلم أنكم تنظرون لي كحالةٍ ولكنني لا أستطيع تحمُّل رؤيتي هكذا، وما هذا الشيء المسمَّى جاون* الذي لا يستر مني سوى القليل؟ وما هذا الجهاز السخيف الذي يحشرونني فيه ويطلق صرخاتٍ * تفزع الموتى؟ إنها طبول حربٍ وليست برنينٍ مغناطيسيٍّ أبدًا.

يا إلهي.. إنهم يحلقون شعر رأسي بالموسى، أطيله لسنواتٍ وتتم حلاقته بدون أي شفقةٍ في ثوانٍ؟!

إنهم يخيطون رأسي ببساطة خياطة رداء حملي، حمدًا لله أني لم أدخل كلية الطب كما أراد لي والدي رحمه الله.

إنهم يصابون بحالةٍ من التبلد أمام الجِراح والمرضى، هل هي قسوة قلبٍ أم هي إرادةٌ حديدية؟

كم أشعر بالخجل من الدكتور ياسين، سنواتٌ طِوالٌ وهو صديقٌ لزوجي ورفضتُ أن يكون طبيب تخديري في عملية ولادتي السابقة، كنتُ أشعر بالخجل أن يرى جسدي صديقٌ لزوجي، وها هو بنفسه يشرف على خياطة رأسي، ويبلِّغ زوجي أنني مصابة بارتجاجٍ في المخ وبعِدة رضوضٍ وكدمات، كما أنني فاقدةٌ لوعيي، وأن الجنين بخيرٍ تامٍّ كما أظهرَتْ الأشعة التلفزيونية، وهم في انتظار طبيب النساء والولادة، ولا بد من الانتظار لنرى.

يسأل زوجي مراد صديقه ياسين:

وما العلاج كي تستيقظ؟-

لا علاج سوى انتظار الشفاء من الله تعالى. -

ينتاب مراد حزن شديد وسأله:

والحمل؟ -

يرد عليه ياسين بهدوء:

ننتظر لنرى ما سيقوله الطبيب المتخصص.-

أنا أسألك كصديق. -

لا ضرر على الجنين، وهي لا تأخذ أي أدويةٍ تجعلنا نخاف عليه، وبالتالي فمِن الممكن الانتظار لأول - الشهر التاسع وتوليدها قيصريًا، حتى وإن كانت لا تزال فاقدةً للوعي.

يا إلهي.. يتحدثون عني وكأنني غائبةٌ وأنا أقف إلى جوارهم! ليتني أستطيع الدخول إلى جسدكِ ثانيةً يا أمل.

مَن أنا؟ وما كل هذا؟ هل أنا روحك؟

***

أمل طفلة

لا أحب هذا الفتى جارنا.. هو يخيفني ويتعمد الصعود خلفي على دَرَج منزلنا، وفي إحدى المرات مد يده متحسسًا جسدي، يا إلهي كم أبغض هذا!

لِمَ تعود لي كل هذه الذكريات؟ كم كرهتُ هذه الفترة العمرية من حياتي، وبالرغم من أنني كنتُ لا زلتُ طفلةً وكان هو أيضًا طفلًا مريضا مهووسا، كان يستمتع بخوفي وبكائي وتجمدي في الركن.

وأنقذني الله منه مرةً حينما صرخ أبي مناديًا: أين أنتِ يا أمل؟

لِمَن أشكو؟ لهذا الرجل المسمى أبي؟ إنه لا يصلح لأن يكون زوجًا وأبًا.

كيف لأمي أن تزوجته؟ يقولون إن الحب أعمى.

ولكن مع أمي كان الحب أعمى وأصم وأخرس.

منذ هذا اليوم قررتُ حماية نفسي، كنت ذكيةً بشهادة الجميع، ولن يهزمني طفلٌ مريضٌ مرضًا نفسيًّا.

كنتُ كلما نزلتُ أتعمد عدم النزول في أوقاتٍ يكون هو فيها في المنزل، وكنتُ أتعمد الوقوف تحت بيتنا صارخةً على أبي أو أمي بحجة خوفي من ظلام الدَّرَج؛ فيقفون في انتظاري.

فخاف هذا الجبان ولم يكرر فعلته.

هههههه شر البَلِيَّة ما يضحك.

الدَّرَج الخائن**

يا له من خوفٍ ظل يكمن بداخلي لسنوات، وها هو الدَّرَج يفعلها معي ثانيةً اليوم.

***

في غرفة المشفى

أمسك مراد بيَدي وإذا بجهاز دقات القلب يشير إلى هدوئه بعدما كانت متسارعة.

دومًا يدك كانت مرساتي يا مراد، تُمسِك بيَدي فيعود للعالم أمانه ويعود لي السلام.

لم أكن أحب أبدًا مصافحة الرجال، وكنت أقول لك إن لمسة الأيدي هي شيءٌ خاصٌّ، ولا يليق بامرأةٍ وضع يدها في يد رجلٍ سوى زوجها وحبيبها.

صرخ مراد بياسين:

هل تشعر بي؟-

بالطبع، إن ردة فعل الجهاز العصبي الذاتي سليمٌ، وأنا أتعامل مع المريض على أنه واعٍ عاطفيًا، حتى وهو تحت تأثير الغيبوبة أو التخدير. -

دخل ممرضٌ إلى الغرفة لوضع أجهزةٍ، فصرخ به مراد طالبًا إياه بجلب ممرضةٍ.

تتصاعد دقات قلبي ثانيةً.

اهدأ يا مراد. -

أنت تعلم كيف سيكون إحساسها لو كانت مستيقظةً وهذه الثياب لا تستر سوى القليل من جسدها.. إذا سمحت امنع تمامًا دخول الممرضين، وقم بوضع ممرضةٍ لا تغادر الغرفة طوال اليوم. -

يزفر ياسين قائلًا:

أنا أعمل بالمستشفى ولستُ مالكًا لها، ولكن أظن أنه بإمكاننا توفير هذا الأمر، ولكن أرجوك اهدأ فأنت تنقل إليها عصبيتك. -

انحنى مراد على أمل قائلًا:

أعلم شعورك يا أمل، أعلمه جيدًا، لا تخافي فأنا لن أترك جوارك حتى تستيقظي.

ليتني أستطيع أن أعرف ما تحتاجينه الآن لأوفره لكِ، أعلم أنكِ تحبين سماع القرآن، وأن لكِ دفترًا تدونين به الأدعية وتحبين القراءة منه، أتمنى أن يكون في حقيبتك.

نعم هو في الحقيبة، وها هو الموبايل سأفتحه لكِ على القرآن المُجوَّد بصوت الشيخ عبد الباسط رحمه الله، الله .. إنها سورة الواقعة أحَبُّ السُّوَر إلى قلبك.

ماذا أيضًا؟ قولي لي، ليتني كنتُ أنا مكانكِ.. ليتني أصلحتُ المصعد، ليتني سمعت كلامكِ ولم أتناسَ وأتجاهل مؤجِّلًا الأمر كعادتي..

***

أمل والتوأم

سما: أمي.

سنا: شششش أمي نائمة.

أريدها أن تستيقظ، وتقوم بعمل ساندوتشات المدرسة اللي أحبها. -

وأنا أريدها أن تساعدني في رسوماتي. -

يرد والدهما:

عليكم بالدعاء، وقريبا ستستيقظ بكل خير إن شاء الله.-

هل لديكما واجبات مدرسية؟ هيا قوموا بعملها، فليس من المعقول أن نرهق جداكما بعمل الواجبات.

نظرت الفتاتان إلى أبيهما متعجبتين.

هي المرة الأولى التي يهتم مراد بواجبات المدرسة، تُرى من قام بعمل ضفائر سما؟ هل هي حماتي؟ أم أخت زوجي؟

لهما شعرٌ جَموحٌ مثل شعري، لا يأبه بالضفائر والشرائط الملونة، وينساب بعد دقائقَ في فوضى محببة.

ليتني أستطيع مد يديَّ إليكما وأن أحتضنكما، وأقرأ لكما حكايات قبل النوم كما كنا نفعل كل ليلة،

ليتني أستطيع القيام والذهاب معكما إلى بيتنا.

دومًا كلما رأيتهما تذكرت سنوات طفولتي مع مُنى توأمتي الغالية.

لا بد وأن تكون على وصولٍ الآن، ستصل كما الزوبعة متحدثةً بمئات الكلمات في الدقيقة، ولن يفهم أحدٌ ما تقول سواي، ستصرخ بي كي أستيقظ من سباتي هذا، فالحياة لا زالت تخبئ لنا الكثير.

آهٍ يا مُنى، ليتني أستطيع أن أشرح لكِ ما أشعر به، وكيف أنني طبَّقتُ ما قرأناه سويًّا من نظرية خروج الروح، وها أنا ذا أقف روحًا بلا جسدٍ إلى جوار جسدٍ بلا روح..

فإلى أين؟

الفتاتان لا تشعران بالراحة، ليتك يا مراد تحتضنهما وتطمئنهما.

وكما لو كان مراد يقرأني، إذ أنه احتضنهما وأخذ يتحدث معهما عن سرعة شفائي وعودتي قريبًا إلى المنزل.

ليتنا نملك هذا الإيمان واليقين فأعود.

***

أمل مراهقةً

مُنى: ما الذي فعلتِه بشعرك؟ قصصتِه كالأولاد؟!

أمل: نعم، هكذا أشعر بأنني خفيفةٌ ولا أحمل هَمَّ تسريحةٍ ما أو وضع شرائط.

ترد مُنى بكبرياء أنثى:

يا بنتي شعر البنت تاجها. -

فتجيبها أمل ساخرة:

أتنازل لكِ عن هذا التاج آنستي بكل حب. -

تتحسس مُنى شعرها بيدها قائلة:

وما الفارق بينك وبين الأولاد في فريق الباسكيت الذي نلعب فيه، بشعرك هذا وارتدائك للسراويل دوما؟! -

هذا ألطف، فأنت تعرفين أنني أفضل مجالستهم عن الفتيات. -

تشير مُنى بسبابتها إليها:

كان لابد أن تكوني ولدا لا فتاة، يا ابنتي أنت فتاة ولست بولد. ما الذي حدث لتكون توأمتي فتاة بصفات ولد؟! -

ترد عليها:

مي زيادة كانت أديبة تجالس رجال الشعر والأدب. -

فترد مُنى متهكمة:

وعاشت وماتت بدون زواج. -

لا أنسى مقولتها أبدًا: -

أنا امرأةٌ قضيتُ حياتي بين قلمي وأدواتي وكتبي ودراساتي، وقد انصرفتُ بكل تفكيري إلى المثل الأعلى، * وهذه الحياة *الأيديالیزم* أي المثالية التي حييتها جعلتني أجهل ما في هذا البشر من دسائس*.

أمل أيتها الهائمة دومًا، في انتظار هبوطك إلى أرض الواقع يوما ما.-

تقف أما أمام المرآة تنظر إلى جسدها الممشوق وتقول:

تغارين مني؟ لأن أونكل علي حينما جاء لنا لتعزيتنا في الوالد قال لي* أصبحتِ آنسةً فرنسيةً بحق*. -

ضحكت مُنى وهي تعلم أن أختها تمازحها وقالت:

ما الذي جعلني توأمتك وأشبهك هكذا؟ -

حظك الحلو يا آنستي. -

تضحك الفتاتان وتعقب منى: ولكن لا تنسي الحقيقة: أنا نسخة معدلة منك.

***

أمل ومراد

كم يومًا مر وأنا على هذه الحالة من الغيبوبة؟ حتى جسدي لم أعد أشعر به ولم أعد أشعر بركلات جنيني.

آهٍ يا مراد، هل تُراك تتذكر إطعام العصافير واليمام الذين كنتُ أقوم بإطعامهم كل صباح؟

كيف لي أن أذكِّرك بهذا؟ ليتك تتذكر وحدك.

يدخل مراد بهدوءٍ إلى غرفة زوجته، ويحيِّي الممرضة التي تجلس بهدوءٍ إلى جوارها، ثم يحيِّي زوجته ممسكًا بيَدها بين يديه شاعرًا بدقات قلبها في الجهاز تهدأ وتهدأ.

تقول له الممرضة: أول مرة ضربات القلب تهدأ من ساعات.

فيبتسم مراد قائلًا: كنتِ تفتقدينني يا أمل حياتي؟ أم أن هناك أمرًا ما؟

ليتني أستطيع الدخول إليكِ لمعرفة ما تريدين.

تضحك أمل لتقول:

أنا بالخارج هنا يا مراد، ليتك تعي هذا. ليتني أستطيع أن أشم رائحتك وأشعر بك..آهٍ لو استطعت احتضانك كي أرتاح من التفكير هل كُتب عليَّ التفكير جسدًا وروحًا؟

مراد: البنتان بخيرٍ، ستقضيان إجازة الأسبوع مع مُنى وستأتي بهما غدًا إن شاء الله.

وكل الأمور في المنزل على ما يُرام، وصدِّقي أو لا تصدِّقي.. أقوم بإطعام العصافير واليمام كل صباحٍ منذ مجيئك للمستشفى. جاء الأمر صدفةً، كنت أصنع قهوةً،(على فكرة لا قهوة تعادل قهوتك أبدًا) وإذا بي أرى يمامةً تقف بجوار شباك المطبخ وتنظر لي وكأنها تقول:

أين مَن كانت تطعمنا لوجه الله كل صباحٍ وتسقينا*؟*

فتذكرت حبكِ لإطعامها وكيف كنتِ تحرمينني من الفطور، وأنتظر جائعًا حتى تطعميها أولًا،

لماذا كنتُ أرى هذه الأشياء عاديةً فيما مضى؟ لماذا كنتُ أعتبر هذه التفاصيل روتينًا مملًّا

وأراها الآن تفاصيل جميلة؟

حتى إعدادكِ للقهوة كنتُ أعتبره عاديًّا، واليوم كم أتمنى لو أجلس إلى جوارِكِ كي أستمتع بطقوس إعدادكِ لها.

أمل: تُرى.. هل جاء كلامك هذا بعد فوات الأوان يا مراد الروح؟

***

أمل والجامعة

كانت أمل ترسم على أي شيءٍ يصادفها،على دفاترها وكتبها، حتى على أوراق الشجر، أو مفارش المناضد. وكانت أمها تصرخ فيها بلا جدوى، إذ كانت ترسم بدون أن تشعر.

ورغم مهارتها وعشقها للرسم إلّا أنها رسبت في اختبارات الالتحاق بكلية الفنون الجميلة، رغم أنها أجادت الرسومات ولم تخطئ في الاختبارات ولو خطأً صغيرًا، كان هذا لها بمثابة لكمةٍ لها وهي على أعتاب الجامعة، والتحقَتْ بكلية التجارة مع مُنى أختها، ولم تهزمها القوانين كما قالت، إذ عملت منذ انتهائها من الثانوية العامة لدى جارة وصديقةٍ لوالدتها في أتيليه للديكور، وأجادت الرسم على الحوائط وبرعت فيه براعةً لا ندَّ لها فيها، وتهافت عليها الكثيرون يطلبونها بالاسم كي ترسم لهم، حتى أنها كانت تتنقل أحيانًا بين المحافظات وتسافر معها صديقة والدتها حتى تنتهي من رسوماتها وتعود لبيتها آمنة.

ظلت أمل تحمل لصديقة والدتها كل العرفان وفي العام الثاني في الجامعة حدث لأمل ما لم يكن بالحسبان، إذ التقت مراد. كانا طرفَي النقيض. تُرى هل يلتقي صيف بشتاء؟!

كانت هي صاخبةً صخب الأمواج، وكان هو هادئًا هدوء مياه الأنهار.

كانت مشرقةً متعددة الألوان، وكان هو ذا لونٍ واحدٍ يميل إلى الرمادي.

كانت لا تستطيع الجلوس على كرسيٍّ لعدة دقائق، في حين أنه كان من الممكن أن يجلس بلا حراك

حتى تمل الجدران من صمته، وهي كانت تحادث هذه الجدران وأرجاء المنزل وكل ما يحيط بها.

وبالرغم من كل هذه الفوضى التي تسكنها إلّا أنها كانت دقيقةً في رسوماتها، ومرتَّبةً شديدة الترتيب في مواعيدها وحجرتها، وكل ما يخصها على عكس مراد الذي كان يعيش فوضى في كل ما يحيط به.

ولهذا حديثٌ يطول شرحه..

***

مراد وصديقه حسين

في مكتب مراد، يجلس محتسيا القهوة مع صديقه حسين.

فيبادره حسين قائلًا:

مراد أنت تحتاج لإعادة تقييمٍ لحياتك القلبية والعملية.

رد عليه مراد قائلًا:

لا تشغل بالك، سأكون بخير. -

تقول هذا منذ تزوجَتْ نغم، وأنت لستَ بخيرٍ أبدًا. -

لا تفتح الموضوع مرةً ثانيةً يا حسين، نغم لم تعد في حياتي. -

حسين ساخرًا:

نغم في حياتي هذا فيلم لفريد الأطرش وميرفت أمين، حلو هذا الإسقاط ، هههههه. -

يلكزه مراد في كتفه:

يا بني توقف عن المزاح. -

لك هذا، ما رأيك في بعض الديكورات في غرفة مكتبك؛ ستعيد إليك الحياة. -

وما به المكتب؟ -

لا يوجد به شيءٌ سوى أنه قديمٌ قِدَم عمك رحمه الله، وأنت تحتاج لروحٍ جديدةٍ به، وأنا لديَّ مَن سيعيد لك وله الروح، فنانةٌ ترسم على الحوائط قامت بعمل رسوماتٍ في منزلي، وجعلَتْني أنا وزوجتي نشتاق للجلوس أمام هذه الرسومات كُلَّما كنا في المنزل، كما أن الكثير من الأصدقاء طلبوا مني رقمها. -

يشير مراد على الحوائط:

وماذا أرسم على هذه؟ -

تحدَّث مع الفنانة وهي ستزور المكتب وتتوافقان على الرسم ،ولكن تذَّكر أنها لا تحب أن تملي عليها ما تريد، فقط اطلب منها ما تحب وهي ستبتكر الأجمل. -

يمسك مراد بأوراق ويقول:

ولكني لا أستطيع ترك المكتب الآن، فأمامنا أعمال نهاية العام للعملاء. -

هي ستعمل على سقَّالةٍ أمام مكتبك ولن تكون مصدرًا للإزعاج. -

يفكر مراد مليًا ويقول:

أعطني عنوانها. -

حسين يبتسم بخبث:

انتظر سأحادثها حالًا. -

يحادثها حسين ثم يقول:

هيا بنا لنذهب إليها حالًا.-

***

التوأمتان والأخ

أمل ومُنى في صوتٍ واحدٍ:

تهاجر؟! -

يرد عليهما علي:

نعم لا أريد العيش في مصر بعد الآن. -

ترد أمل:

وماذا عنا وأمك؟-

سأزوركن مرةً في كل عامٍ وبإمكان أمي المجيء عندي بعد زواجي. -

تتدخل مُنى قائلة:

ستتزوج؟ مَن هي؟-

علي: صديقةٌ أمريكيةٌ تعارفتُ عليها منذ عامَين، كانت في رحلةٍ هنا ومنذ ذلك الوقت ونحن نتحادث.. وقررنا الزواج وانتقالي إلى أمريكا.

تشهق أمل قائلة:

أنت تحكم على أمك بالموت،هي تنهار منذ توفي والدي وأنت تعلم هذا! -

لن أستطيع العيش في هذا الجو الخانق بعد اليوم،أنا منذ تخرجي في كلية الهندسة وأنا أعمل أعمالًا لا علاقة لها بدراستي، حتى أني أخاف أن أنسى ما درسته وأحببته وحلمت به. -

في أمريكا سأعادل دراستي وأعمل بجِدٍّ وأدرس ،سيكون لي كيان محترم لا أجده هنا.

أمل مستسلمة:

وفقك الله ، أنت رتبت كل الأمور وعليك الآن بالتحدث إلى أمنا. -

نظر علي إليهما وقال:

أريدكما معي سندًا لي أثناء الحديث. -

***

أمل ومُنى

تجلس مُنى في المستشفى إلى جوار أمل وتهمس في أذنها:

أمل حبيبتي، أيامٌ مرت وأنتِ على هذه الحالة.. أفيقي.-

أحتاجكِ وأشعر بأن نصفي الأيمن لا يتحرك كما لو أصابه الشلل.

لا تتركيني.. لا سند لي سواكِ. نحن يتيمتان والحياة لا تستقيم إلّا ونحن سويًا.

استيقظي يا أمل، الجنين في بطنك يصرخ فيكِ:

أفيقي..

بنتاك الحبيبتان لا تنامان، لديهما رعبٌ أن لا تستيقظي، ومراد أصبح يمضي هائمًا في طرقات المستشفى وقتًا أطول مما يمضيه في عمله.

ألا تشعرين بعناقي وببرودة يديَّ؟

هل تتذكرين كم كنتِ تمسكين بهما وتدلكينهما لي حتى يعود الدفء إليهما؟

هل تتذكرين كم كنتُ أداعبكِ قائلةً: يدٌ باردةٌ وقلبٌ دافيء؟

فتقولين لي: *يدي دافئة وقلبي يحترق*

أتوسل إليكِ أفيقي..

أمل: أواه يا مُنى أوجعتِ قلبي، كيف لي أن أستيقظ وأعود؟

لا أدري أين هو الطريق، ليتني أستطيع أن أطمئنكِ على غدي، ليتني أستطيع أن أهدِّئ من روعكِ وأكفكف دمعكِ.

***

مراد وياسين

قرر طبيب النساء والولادة إجراء عملية قيصرية لأمل في خلال أيام، وحينما أخبر ياسين صديقه مراد بالخبر صرخ به مراد مصدومًا:

كيف هذا؟ لا يستطيع عقلي أن يتقبل هذا.-

رد ياسين مهدئًا إياه:

قرار الطبيب لم يأت من فراغ، أمل لا تتغذى غذاءً كافيًا لها وللجنين، وهي دخلت في شهرها التاسع. -

هذا جنون، كيف تلد وهي في غيبوبة؟ -

هذا أفضل لها وللجنين. -

ياسين حانقًا:

من الممكن أن تتعرض للخطر. -

لا وجود لأي مشاكل لديها، أما ما يحدث أحيانًا فهو بِيَد الله تعالى ولا رادَّ لقضائه -

مراد: إذا ماتت سـ...

لن تموت بإذن الله .. ادعُ لها الله أن تستيقظ عند وضعنا الجنين بين يديها. -

ماذا عن التخدير؟ -

سأقوم بتخديرها بمخدرٍ نصفي وليس كليا، لا تخف فقط اسأل الله لها العفو والشفاء ولا تقنط من رحمته. -

يرفع مراد رأسه إلى السماء ويقول:

يا رب ليس لنا سواك.. اجبر بخاطرنا أنا وابنتيّ وأختها وكل أحبابها. -

فيربت ياسين على كتفه قائلًا:

هو خير. -

***

أمل ومراد في الأتيليه

ذهب مراد ليلتقي بأمل للاتفاق على عمل رسومات بمكتبه، وحينما شاهدها شعر بأنها ذات شخصية وروح تستحق كتابة الشعر فيها..

وفي اللقاء قال مراد حائرًا:

لا أدري حقيقةً ماذا أريد أن يكون على الحائط من رسوماتٍ أمامي. -

ردت أمل بمرح:

من الممكن أن تطلب مني كل ما تحب، إلا شيئًا واحدًا فقط : أن يكون الرسم المطلوب تشكيليًا. -

يبتسم مراد ويقول:

أنا أيضًا لا أحبه، أريد مشهدًا مريحًا وليس مشهدًا أحاول البحث فيه عمَّا يقصده الفنان، كما أنني أريد رسمًا في الغرفة الصغيرة التي يجلس بها العملاء منتظرين. -

الكتالوجات الخاصة برسوماتي هنا إذا شئت النظر فيها. -

ولكنني أريد شيئًا مختلفًا..عندما تأتين إلى مكتبي ستعرفين ما أقصد، للمكتب جوٌّ يعود إلى الماضي؛ فالشقة كانت مكتبًا لجدي ثم ورثه عمي، وهو لم يغيِّر به سوى الدهانات، أما الخشب والأثاث فهي لا زالت قديمةً لم أغيِّرها. -

الله .. سأكون عندك بالمكتب في الغد إن شاء الله، ولكنني لن أبدأ سوى بعد شهرَين من الآن، فأنا في إجازة. -

شعر مراد أنه يريد أن يراها كل يوم في المستقبل فرد قائلًا:

ولِمَ هذا التأخير؟ -

امتحاناتي في الجامعة. -

في كلية الفنون الجميلة؟ -

لا بل كلية التجارة. -

يتدخل حسين للمرة الأولى قائلًا:

ولِمَ لا تبدئين فيها من الغد، ويذاكر لكِ مراد ما تحتاجينه؟ مراد كان من أوائل الدفعة، وكان يذاكر لنا كل المواد.

ثم يستطرد حسين بمكر قائلًا:

لقد تزوج جميع مَن بدفعتنا وبقي هو الأعزب الوحيد.

مراد وأمل في صوتٍ واحد: ولكن..

حسين مبتسمًا: واحد واحد، خيرا يا مراد؟

يداري مراد مشاعره ويقول:

لعلها لا تحتاج إلى مَن يساعدها، ولا أريدها أن تتعطل بسببي. -

حسين: وماذا عنكِ يا فنانة؟

أمل : صراحةً أنا أشعر بأنني سأرسب في كل المواد هذا العام، ولكن معي أختي في نفس العام الدراسي، وهي تساعدني كيفما استطاعت، ولكن إن كان الأستاذ مراد لا يعترض على مساعدتي،

فسأكون ممتنةً وسأرسم له لوحةً ستجعله لن يتمكن من التركيز في العمل بعد اليوم.

***

أمل ومراد

هل تذكر يا مراد يوم أتيتَ إلى الأتيليه حيث أعمل؟

كنتَ متباعدًا باردًا، وأنا شعرتُ بأنني عثرتُ على نصفي الآخر، وعدتُ إلى مُنى أرقص جذلًا،

واتهمَتْني بالجنون والخيانة، إذ أننا كنا تعاهدنا على عدم الارتباط، إلّا حينما ننتهي من الجامعة.

قلتُ لها:

ومن الذي يتحكم بقلبه إن دق؟ وأخذتُ أبحث بين ثيابي عمّا يليق بلقائك. -

فتوسلَتْ إليّ مُنى أن أنزع عني سراويلي وأرتدي رداءً ولو لمرة، فقلت لها أنني لا أحب الخداع.

ليلتها لم أنم، وشعرتُ بأنني أستطيع كتابة الشعر فيك، وأخذتُ أفكر أي لوحةٍ سأرسمها لك على الحائط وتكون أنت فيها ، فأنت محيرٌ للغاية..أنت كتابٌ مغلق.

ولكن مقابلاتنا القادمة ستكون مفتاحي إليك.

***

أمل ومراد

يجلس مراد على سرير المستشفى محتضنا أمل ويقول:

ستذاع أغنية أم كلثوم الآن على الراديو، أغنية *أمل حياتي*-

هل تذكرين قصتها يا أمل حياتي؟ هل تسمعينها معي؟

هل تشعرين بالكلمات وأنتِ في غيبوبتك؟

أمل حياتي يا حب غالي ما ينتهيش*

يا أحلى غنوة سمعها قلب ولا تتنسيش

خد عمري كله بس النهارده خليني أعيش*

تتنهد أمل وهي تشاهد المشهد أمامها قائلة:

ليتك تعلم يا مراد أنني معك وإلى جوارك يَقِظةً يَقْظةً لا أفهمها،وأتمنى لو أستطيع مناقشة الأطباء في حالتي هذه، ولكن دعنا الآن نستمع إلى ثومة.

خليني جنبك خليني*

في حضن قلبك*

ليتك تعلم أنك في حضن قلبي.

***

أمل في مكتب مراد

في مكتب مراد، تتجول أمل مبهورة بجمال المكتب قديم الطراز فتقول متحمسة:

المكتب رائعٌ بهذا الديكور القديم والألوان والخشب، ولكنني أحتاج أن أستمع إليك قليلًا لأتعرف على ذوقك - العام والخاص.

مراد: وهل أحتاج إلى شيزلونج؟

أمل ضاحكةً:

ليس لهذه الدرجة، ولكن مثلًا العلاج النفسي بالرسم أثبت نجاحًا كبيرًا جدًا مع المرضى النفسيين وحتى الطبيعيين، الرسم ينبع من أشياء بدواخلهم،أنا أعالج الأطفال المصابين بالأمراض النفسية والتوحد، ومن خلال رسوماتهم نستطيع الوصول لجزءٍ من العلاج نوعًا ما.

مراد: ما شاء الله، تعالِي أنتِ اجلسي على الشيزلونج واحكي لي عن هؤلاء.

تضحك أمل لتقول:

هو نوعٌ من العمل التطوعي في حضانةٍ خاصةٍ بالأطفال المصابين بالتوحد.

في إحدى المرات، ظللتُ لشهورٍ مع فتاة صغيرة كانت منطويةً للغاية، ودائمًا تنظر إلى السقف أو المروحة، وفي يدها ورقةً تقوم بلفها على شكلٍ دائري.

لشهورٍ طويلةٍ أخذتُ أرسم أمامها، وأحاول معها بجعلها ترى كراساتٍ تحتوي على رسومات، حتى بدأَتْ تحاولُ الرسم وظلت ترسم رسمةً واحدةً فقط وفي وقتٍ معينٍ من الشهر.

وما هي؟-

دائرة.-

رد مراد متعجبًا ومحترمًا أمل:

وماذا كان يعني هذا؟-

الدائرة تعني الأسرة، واكتشفنا أنها كانت ترسمها في غياب والدها في عمله،إذ كانت تفتقده فترسمها مرارًا - حتى يعود.

وقمنا بعرض لوحاتها هي وزميلاتها في معرضٍ خُصِّص لهم.

وهل شُفِيَت؟-

لا، ولكن حالتها تحسنت، بعد عدم تواصلٍ تامٍّ مع البشر، أو عدم النظر مباشرةً لنا.-

أنتِ شخصيةٌ عجيبةٌ تمشي على السقف! -

تضحك أمل بخفوت:

أنا أمشي على السقف؟! -

مراد ضاحكًا:

أقصد أنكِ ترسمين، وهذه حكايةٌ أُخرى أحتاج لسماعها قبل تطبيقها في المكتب، حتى لا أُصاب بأزمةٍ قلبية.

ترد أمل بخوف:

عافاك الله، لا تقل هذا، الموضوع أسهل بكثيرٍ من كل ما تتخيله.

سنرى، ولكن مَن هي أمل؟ الفنانة، طالبة التجارة، المُعالِجة، هل هناك شيءٌ آخر تخفينه عني؟ -

لاعبة كرة سلة، ودخلت لعدة أشهُرٍ أحاول تعلم الكاراتيه، ولكنني خرجتُ بـ غير لائق. -

مراد ضاحكًا:

لماذا؟ كنتِ أرق من أن تسددي ضرباتٍ للخصم بقدمك ؟

أمل خجلى: لا، في الواقع لدي مشكلةٌ في قدمي اليمنى، دائمًا تلتوي وتخذلني.

ينظر مراد إلى قدميها الصغيرتان قائلًا:

إياكِ أن تخذلينا يا قدم أمل وأمل ترسم على الحائط . -

سأكون جالسةً على سقَّالة. -

سقَّالة؟ سقَّالة؟! -

أينعم، سقَّالةٌ مثل سقَّالة عمال البناء. سأحكي لك عنها في المرة القادمة، والآن لنرَ ماذا تريد على الحائط - من رسمٍ كي أستطيع عمل تخيلاتٍ لعدة رسوماتٍ، سأقوم بعرضها عليك في المرة القادمة.

يرد مراد سارحًا في عينيها:

أنا شخصيةٌ عادية، لستُ بفنانٍ مثلكِ، ولكنني أحب أن أنظر إلى رسمٍ يريح أعصابي، ويجعلني أرتاح قليلًا من جمود الأرقام والقوانين والحسابات.

إلى أي مكانٍ تحب الهروب بعد يومٍ من الحسابات والقوانين والعملاء؟ -

أذهب بسيارتي إلى طريق الساحل، وأتوقف في أي مكانٍ لا توجد به قُرىً سياحيةٌ، أنظر إلى الشاطئ والرمال والطيور. -

جميل. -

ينظر مراد إلى الحائط كما لو كان على هذا الشاطيء ليقول:

وأمنيتي شراء خيمةٍ أضعها على شاطئٍ ما، وأقضي ليلةً أشعل النار في الخشب، وأسامر النجوم، ولكنني أعتقد بأنه سيتم القبض علي . -

تبتسم أمل ابتسامة تضيء وجهها:

صورةٌ جميلة. -

بدون أي وسائل تكنولوجيا، إلّا جهازًا أستمع فيه لأم كلثوم. -

أي أغنيةٍ تحب لها؟ -

كل أغانيها، ولكنني سأبدأ في حب أغنية أمل حياتي أكثر هذه الأيام. -

أمل تحدث نفسها:

ياه، إذَن من كنت أعتقده جامدًا بعيدًا هو في الواقع أجمل مما كنت أظن.

***

أمل ويسرا

في المستشفى تزور أمل امرأة شابة لا يعرفها مراد، فتعرفه بنفسها:

اسمي يسرا، مؤكد أنت لا تعرفني جيدا،أنا والدة فتاة مصابة بالتوحد، تعالجها زوجتك، أرى أنها لم تفِقْ بعد. -

مراد: لم يأذن الله بعد.

تجيبه يسرا محبطة.

أحتاج إليها بصورةٍ لا يعلمها سوى الله. -

أظن أنني رأيتكِ مرةً في مكتب أمل. -

نعم كنت أجلب لها أوراقا خاصة بزوجي رحمه الله ، كي تعرضها على محامٍ. -

صحيح، وأنا مَن عرضتُ الأوراق على محامٍ بعدما استأذنَتْ أمل منكِ، ومع الأسف فكل الأوراق تثبت أن لا حق لكِ في الميراث ولا لِبناتكِ، لأن الأصول كلها باسم أخي زوجكِ البكري، -

وزوجكِ رحمه الله لم يكن يطالب بحقوقه وكان يكتفي بما يعطيه له أخوه مقابل عمله معه.

بحزن شديد ترد:

أشكرك، سأذهب الآن. -

تقف أمل بينهما لا تدري ماذا تفعل، وكيف تشير لزوجها بالتحرك من أجل يسرا وبناتها،

وتبدأ ضربات قلبها تزداد ويشعر بها مراد.

مراد: انتظري، لماذا لا يريد أخو زوجكِ دفع مصروفاتكم أنتِ والأبناء؟

يسرا خجلى: لقد طلب مني الزواج به فرفضت.

ولماذا رفضتِ؟ أليس هذا أحسن لكِ ولأولادكِ؟ -

لا أستطيع أن أتخيل نفسي زوجةً لأخي زوجي، كما أن زوجته صديقةٌ لي، وستنقلب إلى عدوتي، -

وأنا أريد أن أقابل زوجي في الجنة وأنا زوجته ولستُ بزوجة رجلٍ آخر.

أخو زوجك رجلٌ له سمعةٌ رديئةٌ في السوق المالي، ومن الممكن أن يؤذيكِ. -

لنا الله. -

ونِعمَ بالله، ولكن لا يفلُّ الحديد إلّا الحديد،لا تقلقي، هذا الرجل يحتاج إلى من يقف أمامه، -

وأنا أعلم تمامًا مَن هو؟ وكيف سأجعله يدفع لكِ حصة زوجكِ من الميراث ومصروفاتكِ الشهرية أنتِ والأبناء وينسى عرضه بالزواج.

هل ما تقوله حقيقيٌّ؟ -

نعم، للأسف هناك بعض الأشخاص لا يلتزمون إلّا بِلَي الأذرع، وهذا الرجل منهم، إذَن فلنلوِ ذراعه من أجل أسرتك. لا تقلقي، ساعاتٌ أو غدًا صباحًا وستجدينه معترفًا بحقوقكم. -

لا أعلم ما أقوله سوى أنك لا بد وأن تكون على هذا الخير طالما الأستاذة أمل زوجتك. -

ادعي لها الله أن تستيقظ. -

تخرج يسرا تتمتم بالدعوات فيمسك مراد يد زوجه قائلًا:

أخو زوج هذه المرأة لديه أوراقٌ سوداء لم يحب أبدًا الكشف عنها،سبحان الله، كان الحديث يدور عنه منذ يومَين.

هو القَدَر، والله المدبِّر، لا تقلقي يا أمل.

هل تحبين أن أقرأ لك قليلا من دفتر الأذكار الخاص بك؟ كيف يكون لرسامةٍ وفنانةٍ ماهرةٍ مثلكِ خطٌ مثل نبش الفراخ* كما يقولون؟ كل الكلمات والأحرف تطير فوق الأسطر، مرةً حرفٌ كبيرٌ ومرةً صغير، مرةً * رقعةٌ وتارةً نسخ.ألم يعلموكِ الخط وأنتِ صغيرة؟

ما هذه الورقة؟

***

مراد ونغم

مراد. -

أمام منزله، سمع مراد صوتًا دافئًا لم ينسه أبدًا ينادي باسمه.

نغم: مراد كيف حالك؟

يفاجأ مراد بها:

نغم! -

نعم نغم يا مراد،كيف حالك؟ وكيف حال زوجتك؟ سمعت عمّا حدث لها فور وصولي، جميع مَن بالمنطقة يحبونها ويدعون الله لها ولك. -

متى جئتِ؟ -

منذ يومَين ومنذ عرفت الخبر وأنا أقف في الشرفة أنتظر وصولك إلى البيت ونزولك منه، ولم أرك سوى اليوم. -

أتيتُ لأجلب ملابس الجنين؛ فالطبيب سيقوم بتوليد أمل. -

تضع نغم يدها على فمها وتقول: وهي في غيبوبة؟

مراد: نعم.. لماذا أتيتِ يا نغم؟ فأنتِ منذ سنواتٍ لم تأتِ لهذا المنزل؟

تم طلاقي وعدتُ لأعيش في بيت والدي القديم، فأنا لم أحب أن أعيش معهما في شقتهما الجديدة، -

لا زلتُ أشعر بحنينٍ إلى بيتنا هذا وشارعنا والذكريات.

مراد محتدًا:

عن أي ذكرياتٍ تقصدين؟ ذكريات نبذكِ لي وزواجكِ وأنا غائب في فترة التجنيد؟ -

ذكريات خداعكِ لي وأنا أعد الأيام لعودتي؟ أي ذكرياتٍ؟

نغم باكيةً: لا تكن قاسيًا عليَّ يا مراد، والدي رفض تمامًا أن أنتظرك لسنواتٍ حتى تنتهي من تجنيدك، ثم تبدأ في رحلة البحث عن عمل؟ وأنا كنتُ صغيرةً ولا يد لي في هذا، أُقسمُ لك.

وها هو الله انتقم لك، إذ أنني لسنواتٍ طِوالٍ لم أنجب، فطلقني زوجي، ورمى بي بعد هذه العِشرة.

مراد: سلامٌ يا نغم، لقد تأخرتُ على زوجتي، لا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب كما يقال.

***

أمل ومراد

فتح مراد الورقة ليقرأ كلماتٍ كتبتها أمل، تعود لفترة ما قبل زواجهما بعام.

كتبت أمل:

قرأتُ هذه الكلمات وشعرتُ أنها تمسني كثيرًا، وقررتُ أن أبحث عن هذا الرجل وإلا فلن أتزوج أبدًا*.*

تقول امرأة اسمها إلهام عوض قرأت كلامها على الفيس بوك صدفة:

كنت بزور واحدة صاحبتي فقعدت مع جدتها شوية.. هي عندها بدايات زهايمر وكل ما بروح مش * بتعرفني وبفضل أفكرها أنا مين وكده.. ربنا يشفيها ويعافينا

سلمت عليها وقلتلها أنا مين وقعدت جنبها.. صاحبتي كانت متخانقة مع خطيبها وبتتكلم في الموضوع.. لقيت جدتها بتقول لي: عارفة يا بنتي؟ الحب بتاعكو بتاع الأيام دي بالكلام بس.. أيامنا زمان كان اللي يحب مبيشوفش عيوب.. بيحب اللي قدامه زي ما هو كده.. ولو فيه حاجة واضحة قوي شايفها محتاجة تتصلح مش بتبقى بإهانة ولا تجريح..

الحاج الله يرحمه كان متعلم وأنا مدخلتش مدارس فكنت أوقات بقول كلام مش مناسب أو أتصرف تصرف مش بيعجبه في أول الجواز.. كان يستنى لما نبقى لوحدنا ويقول لي عارفة لما حصل الموقف الفلاني؟ لو كنتِ قلتِ أو عملتِ كذا كنت حافرح أكتر.. وعلمني أقرا وأكتب وعمره ما كسفني حتى لو غلطت..

وبعد ما كبرنا والسكر تعبني وأثَّر على نظري، بقيت ألبَّخ في الطبيخ وفي الغسيل وفي كل حاجة، كان أول ما يدوق الأكل يقول لي مال طبيخك احلوّ كده؟ إنتِ عاملة خلطة سرية والا ايه؟ وميسيبش لقمة علشان مزعلش، عمره ما نيمني في يوم زعلانة ولا علَّى صوته عليا، ولو زعلنا مع بعض ميعاتبنيش قدام أي حد من ولادنا.. كنت لما أزعل من حد أروح أشتكي له، كان أقرب ليا من الدنيا كلها..

لما مات حسيت إني يتيمة، حسيت إني ماليش وجود.. كنت باستغرب لما حد يقابلني في الشارع ويكلمني، هو شايفني ازاي؟

معدتش بعرف حد ولا عايزة أفتكر حد غيره*..

يمسك مراد بيَد أمل ويقرأ الكلمات ويسألها:

تُرى يا أمل هل كان اختياركِ لي نابعًا عن إيمانٍ أنني كنتُ هذا الرجل؟

تُرى هل كنتُ لكِ هذا الرجل؟ أقول لك سرا؟

حينما تعارفَتْ أسرتَانا، وشاهدكِ أبي وجلس معكِ قال لي:

يا مراد هذا الفتاة جميلة الروح ، روحها تهيم في كل الأماكن، فإياك إياك محاولة وضع هذه الروح في قفصٍ للزوجية.. أعطِها المساحة وهي ستكون زوجةً وأمًّا بكل حقٍ كما هي الآن تعطي كل شيءٍ حقه. -

لا أكذبكِ خبرًا أنني كنتُ قبلها أفكر في أن أطلب منكِ عدم العمل بعد الزواج، لتكوني لي ولأسرتكِ فقط، ولكنني استمعتُ إلى أبي ونصيحته، ويعلم الله أنكِ حقًا كنتِ زوجةً وأمًّا وفنانةً وصديقةً للكثير

ولكن يا أمل، هل كنتُ أنا خير الأزواج لكِ؟

أنا أحببتكِ ولكن..

ترد أمل من غيبوبتها:

أحببتني ولكن بقي ظِل نغم حبيبتك الأولى بيننا،ظلت نغم في حياتك.-

يغمض مراد عيناه قائلًا: دعيني أخبركِ حكايتي.

***

مراد ونغم

عرف مرادٌ نغم منذ البداية، فلا يتذكر يومًا مضى في طفولته ولم يرَها،كانت تسكن في البيت المقابل لبيته ودومًا ما كانا يلعبان في الشوارع الآمنة المحيطة ببيوتهم.

حتى جاء اليوم الذي مُنعَتْ فيه من النزول إلى الشارع لِلَّعب، حينها أظلم الشارع على مراد وشعر أن عليه هو الآخر اعتزاله، كان يسهر ليلًا منتظرًا إياها في شُرفته حتى تخرج فيشعر أن الشمس تخرج له ليلًا، كان يظل لساعاتٍ ينظر إليها وتنظر إليه في صمتٍ بليغ.

وعندما يبدأ العام الدراسي، كان يمشي خلفها حتى تصل إلى المدرسة، ثم يذهب إلى مدرسته، وفي المرحلة الثانوية تبدَّل الحال إذ كانت تسبقه بخطواتٍ،ثم يذهب معها إلى المدرسة، كانا يتحدثان في كل شيءٍ ويتعاهدان على الوصال. كانت هادئةً ذات صوتٍ رخيم يُجيد قراءة الشعر فيُطرب مَن يستمع لها.. وظلا هكذا حتى ذهب إلى الجامعة والتحقَتْ به بعدها بعامَينِ، وفي الجامعة عاشا أجمل قصةٍ للحب.

كان اسمهما لا يُنطق منفردًا، كان الأصدقاء يطلقون عليهما *نغم مراد ومراد نغم*

وحينما انتهى مراد من الجامعة وكان لزامًا عليه تقديم نفسه للتجنيد، شعر وكأن جزءًا منه لدى نغم لا يعود إليه ،ودخل الجيش وبقي لمدة أربعين يومًا لا يراها،ثم عاد إلى منزله وحضن أمه وأبيه،وجلس معهم وهو ممزَّقٌ بين حبه لهما، وبين رغبته للجري إلى الشرفة، ليرى نغم ويتفقا على موعدٍ ليقابلها.

فقال له والده بمحبة : اجلس يا بُني، أريد التحدث معك في أمرٍ هام.

مراد: خيرًا يا أبي؟

- أحيانًا نتمنى أشياء في صغرنا وإن أتت نندم عليها في الكِبَر، إذ أن التفكير بعقل وقلب مراهقٍ وشابٍ يختلف عن التفكير في الكِبَر.

- طبيعيٌّ ما تقوله، وأتفق معك عليه

- عمك يريدك في مكتب المحاسبة القانونية معه بعد انتهاء تجنيدك، أنت تعلم أنه لم ينجب، وكان هذا المكتب لوالدنا، وأنا كمهندسٍ لم أعمل به ولكنك أنت تستطيع.

مراد سعيدا ومتفائلًا:

- جميل، هكذا ضمنت وظيفة، وأنت كما تعلم يا أبي والد زميلي حسين أوصى علينا، وسنكون مجرد عساكر مجندين هنا في الإسكندرية، وهكذا أستطيع الذهاب إلى العمل في أغلب الأيام عند عمي.هل تسمح لي الآن أن أذهب للقاء الأصدقاء؟

- مِن ضمن الأشياء التي قد تتغير فيها هي مشاعرك لنغم.

يجيب مراد مضطربًا:

نعم، لكن نغم.. -

نغم عقد قرانها على ابن عمها، وستسافر إلى الكويت في أقرب وقتٍ عروسًا له. -

مراد واقفًا وهو يصرخ:

ماذا؟ كيف؟ أنا سأذهب إلى والدها. -

سبقتُك محاولًا يا بُني ورفض أبوها محاولاتي في إقناعه وقال لي: -

لن تنتظر ابنتي لسنواتٍ شابًّا لا نعرف له مستقبلا وبين يدي ابن أخي شابٌ غنيٌّ يعيش في الكويت-

هذا ظلم.. -

بل قسمةٌ ونصيب،عاهدني ألَّا تحاول مقابلتها أو النظر إليها ولو من خلف زجاج الشرفة، -

فهي أصبحت الآن امرأة رجلٍ غيرك، وهذا لا يليق بابني.

مراد زاهدا في الحديث عنها:

لا حاجة لي فيها بعد اليوم. -

لا تقسُ عليها فهي لا ذنب لها.. بعض الآباء يعتقدون أنهم هم مَن يحسنون الاختيار. -

***

أمل ومراد

تذهب أمل إلى مكتب مراد ومعها عدة رسومات تمهيدية ليختار بينها، يشاهدها مراد فيقول:

الله، ما كل هذا الجمال ؟ -

ترد أمل بثقة وخجل في آن واحد:

هذه مجموعة رسومات قمت بتحضيرها وعليك اختيار ما تحبه -

كلهم للبحر والرمال ولكن الرسم الأخير يعجبني كثيرا : بحر ورمال ونار وخيمة وقت الغروب-

الصورة كأنها تقول لي: هذا مكانك تعال.

كنتُ على يقينٍ أن هذه الصورة ستعجبك أكثر من الباقين، وقمتُ أيضًا بعمل رسوماتٍ لغرفة العملاء، - ولكن كما قلتُ لك ستكون بعد الامتحانات إن شاء الله.

احكي لي كيف ستقومين برسم هذه الصورة الصغيرة على هذا الحائط الضخم؟ -

ولكن قبل أن تشرحي، هل لي بسؤالٍ؟ إن كنتُ طلبتُ صورةً بعينها لا تستهويكِ، فهل كنتِ سترسمينها لي؟

بالطبع، ولكنها ستكون في ظني بلا روحٍ، فأنا لا أرسم سوى ما أحبه وأتعايش معه. -

أنا جلست الأيام الماضية أفكر في كلامك وأتحدث مع نفسي مرارًا وتكرارًا، حتى وصلتُ إلى هذه المحصلة من الصور.

لديكِ خيالٌ واسعٌ والعديد من المتناقضات. -

نعم، أنا أظن والدتي كانت ستنجب عدة توائم معي واكتفت باثنين، فجئتُ أنا جامعةً لصفاتٍ عديدة. -

لديكِ توأمٌ متماثل؟ -

نعم، مُنى توأمتي -

شادية غنت يا مُنى قلبي يا أحلى مُنى. -

تضحك أمل قائلةً: لا أظن أن كان لوالدي مثل خيالك هذا.

مراد: لو كنتِ اخترتِ لكِ اسمًا غير أمل، فماذا كنتِ ستختارين؟

دنيا، ففي الدنيا صخبٌ وحياةٌ أُحبُّهما، وماذا عنك؟ -

هو مرادٌ ولا أحد غير مراد. -

ثقةٌ شديدةٌ في النفس. -

أو الرضا التام. -

نعود إلى الرسومات، إذ أنني لا بد وأن أذهب لأقابل أختي في مكتبة الجامعة لنستذكر سويًا ما يفوتني. -

لو احتجتِ أي شيءٍ في الدراسة، فأنا على أتم الاستعداد أن أساعدكِ. -

اطمئن، ستجدني في خلال أيامٍ لاجئةً إليك باكية. -

سأقوم بتجهيز المناديل الورقية من الآن. -

أمل ضاحكةً:

يتم تكبير هذه الرسومات بالأوفرهيد بروجيكتور أو بنقل الرسمة عن طريق مربعات بمقياس رسم معين - وهذا ما أتبعه أي أن لو المربع على الرسمة الصغيرة واحد في واحد سنتيمتر،يكون على الحائط عشرة في ، عشرة سنتيمتر،وهذا يكون مقياس رسم واحد إلى عشرة.

بعد عمل المربعات أبدأ بنقل الرسمة متتبعة الخطوط على المربعات،وطبعًا يكون لدي سقَّالة أو سلم للوصول للمساحات العالية،وأنا أستخدم السقَّالة.

أبدأ في تكوين الألوان وخلطها للحصول على الدرجات المطلوبة وأستخدم عدة أنواع من الفُرَش: فرشاة كبيرة للمساحات الكبيرة، وأحيانًا أستخدم الاستنسيل أو شَبلونات الطباعة (رسوم مفرغة) باستخدام الاسبراي ولابد من التحكم جيدا في ضبط كثافة الألوان، وهذا بالطبع يحتاج خبرة وممارسة،ومن الممكن أيضًا أستخدام رول فرد اللون بمختلف أحجامه،وأحيانًا الجأ لخامات أخرى للرسومات البارزة مثل الفوم والجبس أو الخشب ..

عادةً ستجدني أنزل من السقَّالة كثيرا بعدما أنتهي من جزء ما وأقف أشاهده من بعيد كي أرى إذا ما كان يحتاج لتعديل أو إضافة شيء ناقص،رؤية العمل من بعيد أساسية في الرسم.

من الممكن أن أرسم جزءا وأتركه لجزء ثان وأعود إليه فيما بعد، أو اكتشف أنني أضفت جزءا جديدا من خيالي..

هذا هو فقط كل عملي.

مراد ضاحكًا:

فقط؟ لا تستهيني بعملك,أنا أهون لي أكتب كتاب خواطر كامل ولا أعمل عملك هذا.-

أنت تكتب الخواطر؟ -

نعم وصدر لي عدة أعمال، لو كنت من هواة القراءة يمكنني أن أهديهم لكِ، ولكن بعد الامتحانات كي تستطيعي التركيز. -

لا، هكذا لن أستطيع التركيز طالما سأحيا أفكر في فحوى هذه الخواطر، وسأرسب رسوبًا عظيمًا. -

مراد مستمتعًا بحوارهما:

إذَن سأجلبهم لك ولتقرئيهم.-

أمل حالمة: بل سأقرأك فيهم.

***

أمل ونـهال

في المستشفى تجلس نهال،صديقة ومساعدة أمل في الأتيليه إلى جوارها وتقول بحزن:

- أمل يا صديقتي هل لا زلتِ على حالك؟ سأحادثكِ فأنا أعلم يقينًا أنكِ تستمعين لنا،الأتيليه في غيابكِ لا طعم له، نديره جميعًا بكل الحب، ولكن نفتقد البريق، كنتِ دومًا أنتِ النور والبريق، أدعو الله لكِ أن تعودي لنا قريبًا.

أريد أن أحكي لكِ شيئًا:

تقدَّم لي عادل الإنسان الذي أحببته وأَحبَّني،انتظري لا تفرحي لي، فحينما أتت والدته وشاهدتني وشاهدت أمي، رفضت الزيجة.

هل تعلمين لماذا يا أمل؟! لأن أمي أصولها نوبية، جلست معنا أمه في زيارة تشبه زيارة ماري منيب

و*طلعت القطط الفاطسة فيَّ*، وفي نهاية الزيارة وبكل صراحة، فجرت بصراحتها كل أحلامي قائلة

إنها لن تكون سعيدة بزواجي من ابنها لأنها تريد تزويجه من *بنت خالته البيضا أم عيون ملونة فتفرح بولاد زي القمر*

لم أستطع السكوت عنها يا أمل فقلت لها :

مبروك يا طنط مقدما*وابقوا احجزوا لي المشمشي*،ههه

آه والله قلت لها هذا، هل نحن قطط أم أولادنا قطط؟

هذه المرأة أحرجتنا جميعا، وكان لابد أن أقول ما قلت كي لا أقتلها أو اقتل ابنها.

جرحتني كثيرا يا أمل، ما هي هذه الزيجة الأبيض والأسود والألوان؟ وأي أطفال ضمنت إنجابهم وبالألوان أيضا؟!

لقد استهانت بقلوبنا؟ أما هو فكيف هنت عليه؟! وأنا لعامين أرفض العريس تلو الآخر، حتى يستطيع التقدم لي، هو لم يحادثني منذ هذا اليوم محرجا، ولكنني صممت أن نلتقي وسألته:

لم الإحراج؟ تزوج يا سيدي فيرجينيا جميلة الجميلات ابنة خالتك هذه ودعني أنا -

محروقة زيادة ما أنا متحمصة* هههههه، أشعر بك تضحكين معي يا أمل.*

تضحك نهال بجذلٍ، ويدخل مراد الغرفة ليجد نهال صديقة أمل تمسك بِيَدها، وتحادثها وهي تضحك.

فتنظر إليه نهال باكيةً وتقول: والله العظيم أشعر بها تضحك من قلبها معي.

***

أمل ومراد

جلست أمل على السقَّالة ترسم بمنتهى التركيز، وتتحدث مع مراد، وترد على الموبايل أيضًا، كل هذا ولا تفوتها شاردةٌ ولا واردة في عملها.

تَعجَّب مراد وسألها كيف تفعل هذا؟

قالت له ضاحكة: أنا مشروع أم.

وما يعني هذا؟ -

كنتُ أشاهد أمي وهي تفعل عدة أشياء في آنٍ واحدٍ، وأتعجَّب كيف لها هذا: -

كانت تطبخ وهي تحادث جدتي وتذاكر لنا، أو تضعنا في الفراش وهي تقرأ وتخيط بعض الثياب، وما إلى ذلك من أعمال.

إذَن هي حاسةٌ لدى النساء؟ -

بل قل حكرٌ عليهن.-

يضحك مراد ويسألها:

وكيف تتمتعين بهذه المرونة على السقَّالة،تصعدين وتهبطين عليها عدة مراتٍ فيرتجف قلبي في كل مرة. -

تضحك أمل قائلةً: إنها تمارين اليوجا،لقد قرأتُ كتابا من كتب خواطرك.

يرد مراد بغبطة:

آها. -

أعجبني كثيرًا،وخاصةً ما كتبته عن حبيبتك والقهوة. -

وانطلقت أمل تسرد عليه الخاطرة:

أنا لا أشرب القهوة
ولكن لحبيبتي
مع القهوة
طقوسٌ
أحب أن
أشاركها بها..
تجلس إلى

جوار السبرتاية
والكنكة النحاس
وتركز كما لو كانت
تقوم بمهمةٍ رسمية
ثم أراها تتنسم
رائحة القهوة
كما لو كانت
تجلس في
حديقةٍ للياسمين..
تضع القهوة
في فناجين أمي
رحمها الله
وتجلس إلى جواري
وتضع نقاطًا من الماء
على فنجانها لترقد
رواسب القهوة
فأمازحها قائلًا:
انتي بتقعدي
على قهاوي
من ورايا؟..
تغمس إصبعها أحيانًا
في وش القهوة
وتلعقه كطفل صغير
يلعق الشوكولاته
و أحياناً أُخرى
تغمس قطعةً من
الشوكولاته في الفنجان
وتأكلها
فأتمنى أن أحبس
هذه اللقطة
في صورةٍ
أحملها معي
كلما ذهبتُ
وأحيانًا تقوم
بوضع إصبعها
الملطخ بالقهوة
على جبينها
فتظهر أمامي
كأميرةٍ هنديةٍ
تضع الأسوَد
بدلاً من الأحمر..
تظل تشرب
من الفنجان وكأنه
لا ينتهي
وتضعه بوضعٍ
مائلٍ قليلًا

حتى تحتسي ثمالته
ثم تنظر لي
ضاحكةً وتقول:
أأشرب لك فنجانك؟
فأضحك من قلبي قائلًا:
أعيدي جنون
طقوس القهوة
يا فتاتي..

مراد متفاجئًا:

حفظتها؟ -

أمل: هي وعدة خواطر أُخَر، ولكن هذه أعجبتني كثيرًا، ولكن ألا تعلم أنهم يقولون: لا تثق بمن لا يشرب القهوة؟

مراد ضاحكًا:

وهل تعلمين أن الأدباء مساكين؟ إذ أن القُرَّاء يصدقون كل ما يقولون وأغلبه خيال، أنا أعشق القهوة - ولكنني أشربها مرةً في الصباح ومرةً بعد العمل. ولكن هل تشربينها أنت؟

ترد أمل بفخر:

أعشقها، لها معي جميل الذكريات في بيت جدي وجدتي، وطقوس السبرتاية وحبوب القهوة المُحمَّصة في - البيت والمطحنة النحاس، كم سرقتُ حبات بُنٍ مُحمَّصةً من جدتي، ووقفتُ إلى جوارها لتضع لي رشفةً في طبق الفنجان.

هذا أسميه عشق القهوة حقًا. -

ترد أمل بمكر:

مثل حبيبتك؟ -

أقول لك سرًا؟ -

يخفق قلب أمل معتقدة أن مراد سيتحدث عن حبيبة له وتقول:

في بئرٍ لا قرار له. -

هذه الطقوس رأيتها بين والدَيَّ مرارًا. -

ما شاء الله، جدتي وجدي كانا هكذا. -

ووالدَاك؟ -

أمل بخيبة أمل: لا ليس والدَيَّ أبدًا.

***

أمل ومُنى والأخ المغترب

كانت أمل ومُنى على الهاتف، تحادثان أخاهما بصوتٍ منخفضٍ حتى لا تسمع الأم المريضة.

أمل:

ماذا تعني يا علي بأنك لم تعمل حتى الآن بصورةٍ جيدة؟-

يرد علي بغضب مكبوت:

لا يوجد عملٌ لمن هم مثلي سوى أعمالٍ لا تليق بشهادتي ودراستي، فأعمل في سوبرماركت ثلاثة أيامٍ في الأسبوع. -

مُنى:

وماذا عن المعادلة؟ -

لم أبدأ بعد.-

أمل: وكيف ستعيش مع زوجتك؟

يرد علي وكأنه يقرر واقعًا:

لا بد وأن ترسلوا لي مالًا في أسرع وقت.-

أمل: أي مالٍ يا علي؟ نحن نعيش بمعاش الوالد، ونعمل حتى نستطيع إكمال دراستنا، وعلاج والدتنا يأخذ الكثير منا.

علي: اطلبي سُلفةً من صديقة أمي أو أيٍّ من العملاء لديكِ.

أمل: ماذا تقول؟ لا أستطيع، هذا مستحيل.

مُنى: وأنا كما تعلم وظيفتي أقل شأنًا من أرسل لك مالًا.

علي: سأتحدث إلى أمي إذَن.

أمل: لتفعل ماذا؟ ماما تبيع ذهبها وترسل لك سرًا المال، ونحن نعلم ولا نستطيع منعها.

يرد علي بغضب:

هذا الذهب من حقي كما من حقكما. -

مُنى: حق مَن؟ هذا ذهب أمي حقها فقط، أطال الله في عمرها.

علي: عليكما بتدبر الأمر.. سلام.

أمل: لا يختلف البتة عن أبي الذي أنفق ميراث أمي، والآن جاء دور علي لينفق ما بأيدينا.

عدة أيام.. ويأتيهم خبر مقتل علي على يد مسلَّحين، أطلقوا النار على العاملين بالسوبرماركت في حادث سطوٍ مسلح.

***

أمل ومراد على الهاتف

مراد: خالص عزائي لكِ ولأختكِ في وفاة الوالدة، لا أدري ماذا أقول، منذ عدة أيامٍ كنتُ أُقدِّم التعازي في أخيك واليوم في الوالدة.

أمل: شكرًا لك وشكرًا لوقوفك والوالد مع خالي في الجنازة

لا تشكريني فهذا واجبي، ألستُ بصديقٍ لكِ؟ اعتبريني كما تشائين؛ صديق أو أخ لكما، ووالدي والدكما. -

أحببتُ والدَيك كثيرًا، ووالدتك تشبه كثيرًا والدتي رحمها الله، تبدأ أمل في البكاء. -

ابكي يا أمل.. ابكي فالبكاء سيريحكِ، كنتِ تقفين في الجنازة والعزاء مثل الجبل، ولكن حتى الجبل عند الزلازل والبراكين ينهدم، ابكي، ولكن لا تبكي كثيرًا لأن هذا قد يجعلني آتي إليكم، كي أجفف دمعكِ بيَدي وليكن ما يكون. -

***

أمل في غرفة الولادة

أمل: يا الله ما الذي يحدث لي؟ لا أستطيع أن أنظر لهم وهم يشقون بطني هكذا، أين أذهب؟ أشعر بالألم وكأنني لست بمخدَّرة، يا إلهي ها هو ابني، ما هذا الذي يفعله ياسين طبيب التخدير؟

لقد أمسك بابني ووضعه في حضني، وسط تساؤلات واندهاش الأطباء والممرضات.

ما أجملك يا ولدي، كيف لي أن أحتضنك وأنا خارج نفسي؟ كيف لي أن أهتم بك، وأرضعك، وأقوم بالاهتمام بك حتى تغدو طفلًا ومراهقًا وشابًا ورجُلًا؟

ينظر ياسين إلى طبيب النساء ويسأله: لا أظن أنه يوجد ما يمنع أن ترضع أمل طفلها.

ينظر إليه طبيب النساء كمن ينظر إلى مختلٍ عقليًا: ألا ترى أنها فاقدةٌ للوعي؟

ياسين: نعم فاقدةٌ للوعي، ولكن جسدها يعمل بصورةٍ طبيعية، وبإمكانها إرضاعه بمساعدة الممرضات، علَّها عند الاتصال بالطفل تسترد وعيها.

نحن لا نعلم أبدًا كُنه الجسد والعقل، وهي نظريًا وطبيًا طبيعيةٌ مائة بالمائة ولكن فاقدةٌ للوعي، ولكنها تستطيع إرضاعه.

***

مراد ومُنى

عند معرفة مُنى بأمر إرضاع أختها للمولود صرخت بمراد :

ما هذا الذي تفعلونه؟ كيف ستستطيع أمل إرضاع الصبي؟-

يرد مراد بهدوء فهو يعلم مدى خوفها على زوجه:

استطاعت بمعاونة الممرضات والحمد لله.-

ولكنها لا تتغذى إلّا على مشروباتٍ، وعصائر ، وخضرواتٍ مهروسةٍ عبر أنبوب الأنف، -

فهل سيكفيها هذا ويكفي الطفل؟ أنا أقوم بفطام ابني الصغير، وبإمكاني أخذ ابنكما وإرضاعه.

يرد مراد بحزم:

لا، طالما هو بخيرٍ يرضع من أمه، وهي بخيرٍ، فلا بد من وجوده قريبًا منها، علَّها تستيقظ قريبًا، -

أشكركِ يا مُنى.

أخاف عليها وعلى الرضيع، هل اخترتم له اسمًا؟ -

ياسين، أثق أن أمل لو كانت مستيقظةً الآن لكانت طلبت هذا.-

إذَن فلتدَعْني أبيت معها كل ليلة، فأساعدها وأريحها قليلًا من الرضاعة.-

وأسرتك؟ -

أنت تعلم أن حسين هو ابن خالتي قبل أن يكون زوجي، وأمه خالتنا ولن تعترض أبدًا. -

ولكن! -

لا يوجد ولكن، أرجوك. -

لكِ هذا يا مُنى. -

يترك مراد الغرفة فتقترب مُنى من أمل باكيةً، وتضمها إليها قائلةً:

أمل حبيبتي يكفي هذا.. عودي لنا، كم أخاف أن أفقدكِ وكم أخاف أن ترضعي ياسين، فتتأذي أو تؤذيه،لا - تقولي عني مجنونةً، ولكن هل تذكرين مسلسل عبد الحليم في الإذاعة، لا أنساه عمري حينما أرادت الداية إرضاعه من أمه الميتة حتى يلحق بها، أعلم أنكِ تفهمين ما أقصده،

لا أريد فقدكِ، وأخاف فقده فهو آخر جزءٍ منكِ، استيقظي وانظري إليه، هو لا يشبهكِ ولا يشبه توأمكِ

هو صورةٌ مصغَّرَةٌ من مراد، هو الحب الكبير الذي حملتِه بقلبكِ منذ سنوات.

هل تذكرين قصة حبكِ له؟ أرى ياسين صورةً لهذا الحب الجميل، استيقظي يا أمل، كَفانا ما مررنا به في الأيام الماضية.

***

أمل ومراد

تجلس أمل على السقَّالة وهي ترسم سماءً برتقاليةً وشمسًا تعلن عن المغيب وتُحدِّث مراد:

مجموعة خواطرك الأولى حزينةٌ للغاية، تُعبِّر عن الفَقد والغدر والألم، ومهما قلتَ عن خيال الشاعر فهناك - جزءٌ كبيرٌ من واقعك في الكلمات.

مراد: هل قال لكِ أحدهم قبلًا أنكِ حادة الذكاء؟

ترد أمل هازئة:

نعم، ونصحوني إن أردتُ زوجًا أن أتعلم أن أكون غبية. -

يضحك مراد بصوتٍ عالٍ ويقول:

أن تتغابي قليلًا يقصدون، لعل هذا حقيقيٌّ؛ فالرجل يحب المرأة الذكية كصديقةٍ، ولا يحبها كزوجة.. ولكن - هذه مفاهيم مغلوطةٌ لدى البعض.

بل لدى قاعدةٍ عريضةٍ من الرجال. -

إذَن أنا أكسر هذه القاعدة.. أنا أحب زوجتي ندًا لي وليس وجهًا وجسدًا جميلًا فقط. -

هل تدرين كم عدد الساعات التي جلسنا نتناقش فيها وأنتِ ترسمين؟ لقد تحدثنا كثيرًا حديثًا ثنائيًا من طرفَين، وكنْتِ لي ندًا فيه ولم أتضايق.

اقترب مراد من السقَّالة ووقف بأسفلها قائلًا:

هل تتزوجين بي يا أمل؟أنا أحب أن تكون لي زوجةٌ مثلكِ ذكيةٌ خفيفةٌ فنانةٌ لبقةٌ ومثقفة.-

توقفت أمل عن الرسم وعن الكلام فنظر إليها مراد قائلًا:

لأول مرةٍ أراكِ صامتةً، فهل هذا كما يقول المثل: السكوت علامة الرضا؟-

ترد أمل وهي حائرة:

ولكن هناك شيءٌ ما في خواطرك يوحي إليَّ بأنك لا زلت تَتَتَبَّع خطى إحداهن. -

ولكنني اليوم أتَتَبَّع خطاكِ،وأقف تحت سقَّالةٍ بها العديد من الألوان، وأنا أدعو الله أن لا يصيبني دلوٌ طائشٌ - من دلاء ألوانكِ كما حدث لعم سيد المسكين وهو يناولكِ قهوتك.

هو مَن ضربه بيَده، والحمد لله سقطت علبة ألوانٍ وليس القهوة الحارة. -

إذَن ستتزوجين بي؟ -

كنا نتحدث عن عمِّ سيد المسكين. -

وأنا أيضًا مسكين وغلبان. -

ألم تستمعي لعدوية وهو يقول: حنِّي على الغلبان؟

***

أمل ومُنى

تجلس مُنى إلى جوار أمل محتضنة ياسين وتقول لها:

منذ سنواتٍ لم نسهر سويًا هكذا، هذا يعيدني إلى الماضي وإلى بيتنا، ولكن ينقصنا أن تكوني حاضرةً - معنا، أعلم أنكِ تشعرين بنا، حبيبتي أجيبيني.

أمل: آه يا مُنى يا نصفي الآخر، كم أود أن أرتمي في حضنك أشكو لكِ حالي، إلى متى سأظل هكذا؟! لا أستطيع العودة لجسدي، ولا أن أموت ولا أحيا، أنا لستُ قانطةً من رحمة الله، ولكنني أشعر بأنني كأهل الأعراف، لا أنا في الجنة ولا أنا في النار.

يا رب يا رب يا رب

***

أمل ومراد

اليوم أتممنا عامَين من الزواج، ومعنا توأمتان حبيبتان، وأنا سعيدةٌ معك وبك يا مراد، ولكن قلبك أحيانًا لا يكون معي، حتى خواطرك أجد فيها حنينًا لامرأةٍ ما.

أختك حكت لي عن نغم، وهذا جعل استنتاجي صحيحًا، حبك الأول لا زال ينبض بقلبك،

لقد قرأتُها في خاطرتك الأخيرة:

إن سألوك يومًا عني
قل لهم
هي مجنونةٌ بي
أحبَّتني منذ الأزل
وحتى اللقاء في الجنة
سأظل حبها
وستظل عشقي..

إن سألوك يومًا عني
قل لهم
هي طفلةٌ تلهو بالقمر
هي شابةٌ تعشق الرمل
وموج البحر
هي أنثى كثيرة الاعتراض
هي امرأةٌ لا تستسلم
سوى لمشاعري وقلبي..
إن سألوك يومًا عني
قل لهم
هي القوة مهما
صادفت من ضعفٍ
يظل قلبها من ذهب
يومض بحبي..
إن سألوك يومًا عني
قل لهم
هي قوتي في ضعفي
هي بسمتي في حزني
هي البلسم
هي كل ما
أتمنى وأشتهي..
إن سألوك يومًا عني
قل لهم
معًا نتوحد
أتحدث فتكمل
الكلام عني

أصمت فتقرأ
ما بعيني
فأنا منها
وهي مني..
إن سألوك يومًا عني
قل لهم
هي دعائي دومًا
ألّا تضيع مني
في رحلتي المتعبة
حينما أتوه
باحثاً عني..

****

أمل ومراد ونغم

يُفاجَأ مراد بدخول نغم غرفة أمل في المشفى فيحادثها بغضب:

ما الذي أتى بكِ هنا؟ -

نغم بهدوء وحزن:

أردتُ أن أراك وأطمئن على أمل والجنين. -

تنظر أمل إليهما معا وتقول هازئة:

مرحى مرحى ها هي نغم لم تعد في حياتك فقط يا مراد، بل وفي حياتي أيضًا. -

مراد: نغم أرجوكِ، لا أريد لشيءٍ أن يؤثِّر سلبًا على أمل،لا تنسي، هي زوجتي التي اختارها قلبي.

ترد نغم بإصرار:

وقلبك دومًا حملني بداخله، كتاباتك حتى اليوم لا زالت تقول هذا. -

أرجوكِ، لنخرج من هنا -

أمل: وكأنني لا أستطيع الخروج معكما، أرجو ألّا تبتعدا فأنا لا أستطيع الذهاب بعيدًا، فأتوه ولا أعرف لي طريقًا للعودة.

على باب الغرفة يعنف مراد نغم قائلًا:

نغم، ما كان بيننا انتهى. -

أمل: ليتني أستطيع تصديقك.

نغم: لم ينتهِ يا مراد ولن ينتهي.

مراد: حتى ولو لم ينتهِ ولكنني في ظروف لا تسمح لي بالتفكير حاليًا في أي شيء.

نغم: وأنا إلى جوارك أدعمك وأساندك.

أمل: وصلنا لبيت القصيد.

مراد: أرجوكِ.

نغم: بل أنا من أرجوك كفاني ما مررتُ به من أحزان.

مراد: وما ذنب أمل؟

نغم: وما ذنبي؟! وما ذنبك؟! نحن مثلثٌ الآن يا مراد، لا تستطيع ترك أحدٍ منا خارجه.

أمل بروح الفكاهة الذي لا يغادرها:

أوه! ليتني أستطيع جلب الفشار، فما أراه حقًا مشهدٌ سينمائيٌ جميل.

***

أمل وأمل

أمل: ما بالكِ يا أمل، تعودتِّ على حالكِ هذا؟! ألا تريدين العودة لبنتيك؟! لهذا الرضيع الذي يلتقم ثديكِ ولا تشعرين به؟! لزوجكِ الذي تعترض طريق قلبه امرأةٌ من الماضي؟!

ألا تحاربين؟! تحركي يا امرأة وعودي إلى الحياة، تمردي على حالكِ، سئمتُ وجودي هكذا بَين بَين.

هل تريدين الموت؟! تحدثي إليَّ، هل تريدين الموت؟

أنا أريد الحياة، أريد أن أحتضن أولادي، أريد أن أضم إليَّ رضيعي، أريد أن أعود لتوأمتي، لرسمي - وحياتي، وقبل كل هذا أريدأن أحارب كي أسترد زوجي من هذه المُسمَّاة نغم.

***

مراد ومراد

ما الذي يحدث معك يا مراد؟ هل عاشت نغم بقلبك طوال هذه السنوات، وبمجرد أن نادت باسمك لبى قلبك النداء ناسيًا ما قد مضى؟

ما مضى لم يكن بيدها، كانت صغيرةً أجبرها والدها، وشهد أبوك على هذا، طالبًا منك أن تعذرها،-

وعذرتَها وظلَّتْ بالقلب، ثم قابلْتَ أمل وكانت شخصيةً مناقضةً تمامًا لشخصية نغم،وتَحرَّك القلب تجاهها.

كيف يتحرك القلب تجاه شخصٍ ما وبالقلب شخصٌ آخر؟-

مِن أجل هذا حلل الله التعدد للرجال.-

مرااد مرااد إلى أي منزلقٍ أنت متجهٌ بهذه السرعة؟ احترس،إن اقتربْتَ من نغم فقد لا تغفر لك أمل هذا، - أمل؟ متى ستفيقين يا أمل؟ أحتاج إلى التحدث معكِ.

أي حديثٍ يا رجل؟ هل ستقول لها عذرًا يا زوجتي حبيبتي أحبها؟ هل ستقول لها فَكِّري معي؟-

ستلعن اليوم الذي قابلتك فيه وستطلب الطلاق وتهدم كل ما بنيتموه سويًا.

ولماذا؟ الله تعالى حلل لنا التعدد، هل تكره لي أمل الزواج ولا تسامحني عليه، في حين أنني إن قمت - بعلاقةٍ عابرةٍ تسامحني عليها،حتى لو كنت أغضبْتُ الله؟ أي منطقٍ هذا؟ كيف وصلنا إلى هذا الحال؟

أنت الآن تحلل لنفسك شيئًا قد ترفضه لأختك وتقف أمام زوجها إن فعل هذا.-

لا، مستحيل. -

بل نعم، كلنا هكذا يا مراد نحلل ونحرِّم على هوانا. -

والحل؟ -

أنت في ورطةٍ يا مراد -

***

أمل ومراد

قامت أمل لمراد بعمل عدة رسومات لخاطراته أعجبته جدا وقال لها:

لم أكن أعلم حينما تزوجتكِ أني ضمنْتُ لنفسي رسامةً لمجموعات خواطري بالمجان. -

أمل: ومن قال لك أنها بالمجان؟ أنا أشجب وأستنكر وأدين كما جامعة الدول العربية.

مراد ضاحكًا: وما الجدوى؟ لن تستفيدي هكذا.

أمل: إذَن فلنجرب طريقةً أُخرى. يا مراد الروح هل أعجبتك رسومات مجموعتك الجديدة؟

هل تريد أي تغييرٍ أو إضافات؟

استمري، ستأكلين من يدي هكذا. -

مالي والطعام؟ أريد شيئًا أهم. -

مراد ضاحكًا:

آهٍ من النساء. -

أمل بمكر:

أريد مبلغًا من المال. -

وصلنا لمربط الفرس. -

لبناء دارٍ للحضانة لأطفال مرضى التوحد، سأقوم ببيع ذهبي كله كي أستطيع شراء الأرض. -

مهلًا.. ستبيعين ذهبك؟ -

أنت تعلم أنني لا أرتديه، وأحب الفضة، ولا أهتم إن كان لدي ذهبٌ أم لا. -

ولكن يا زوجتي إنه زينة المرأة. -

الحلي المزيفة متاحةٌ، والفضة جميلةٌ تبعث في نفسي الراحة. -

إذَن لنتقاسم سويًا كل ما تحتاجه الحضانة من مال؟ -

سأقوم ببيع خاتم الزواج أيضًا، مالي أنا والماس؟! -

هو لكِ منذ البداية وليس لي. -

أمل بكل حب:

أنت مراد الروح حقًا. -

وأنتِ أمل حياتي بلا شك. -

***

حفل توقيع مجموعة خواطر مراد

وقف مراد متحدثًا إلى ضيوفه قائلًا:

وأنا إذ أشكركم على حضوركم حفل توقيع مجموعتي الأخيرة، أود أن أوَجِّه شكري أولًا لزوجتي الحبيبة - الفنانة أمل، التي تتحمل مزاجي أثناء الكتابة، والتي تجلس معي تناقشني كل خاطرة وتفاجئني برسمٍ خاصٍ لها يمنحها بريقًا وبهاءً.

كما أحب أن أقرأ عليكم إحدى خواطري الآن، وهي مُهداةٌ من القلب إلى القلب، من قلبي إلى قلب زوجتي وقلوبكم.

الخاطرة بعنوان:

ذات عيد

ذات عيدٍ
قلت لها:
جاء العيد
حبيبتي
فكل عيدٍ
يا فتاتي المليحة
وأنتِ الحبيبة
وأنتِ الرفيقة ..

فأجابتني
مشرقةً:
معك كل
يومٍ أنا
في عيد
وأنت عيدي
وجنةٌ قريبة..

ما أجملكِ
أيتها المرأة الطفلة
الحكيمة المشاغبة
البسيطة البهية
يا من أهديها
وردةً فتشكرني
كما لو كنت
أهديتُها
بستان ورودٍ..

حبيبتي يا منِ
زرعتكِ وردةً
في بستان القلب
لا تكبري
ظَلي صغيرة
ظَلي لي البهجة
كوني لي
الزوجة والابنة
كوني لي
نِعم السكن
نِعم الرفيقة..

***

مفاجأة أمل

يجلس مراد في المستشفى بعد عدة أسابيع من حادث الوقوع، ينظر إلى أمل ويقرأ القرآن مبتهلًا إلى الله أن تعود إليه الحبيبة، ظل يقرأ ويناجي الله الرحمن ويضع يده على رأسها تاليًا آيات الشفاء

وهو يبكي.

أمل: آهٍ يا مراد، كم أود أن يلبي الله لك الدعاء، آه ما هذا؟ لماذا هذا الظلام؟ أين أنا؟ أين النور؟

لماذا أتخبط هكذا؟ ما الذي يحدث لي؟ آآآآه.. هناك بصيصٌ من النور أراه بعيدًا،عجيبٌ أمري، أشعر بألمٍ في رأسي. تتأوه أمل فيصرخ مراد مناديًا اسمها وجاذبا الجرس صارخًا في الممرضة:

استدعي طبيبًا والدكتور ياسين حالًا، إنها تتأوه.-

فتحت أمل عينيها ناظرةً إلى مراد، وإلى رضيعٍ في سريرٍ مجاوروقالت:

أين أنا؟ -

مراد بكل سعادة :

الحمد لله على سلامتك يا حبيبتي،أنتِ في المستشفى.

أمل بحيرة: مَن أنت؟

مراد مصدوما:

أنا مراد يا أمل، ما بكِ؟-

ترد أمل بحيرة:

أمل؟! اسمي أمل؟! -

***

ياسين

يخرج مراد مع ياسين من غرفة أمل بالمشفى ويسأل صديقه:

ما الذي يحدث لأمل يا ياسين؟ -

فيرد ياسين بأسى حزينا على صديقه وأسرته:

لديها فقدانٌ في الذاكرة. -

لماذا؟ -

لا يوجد *لماذا* في هذه الأشياء، الرأس تضررت عند الوقوع على الدَّرَج، ونحن لا نستطيع معرفة الأضرار المترتبة على الوقوع سوى بعد الإفاقة من الغيبوبة، قد تكون الإصابة أكبر من هذا بكثير.. علينا أن نحمد الله وننتظر حتى تستعيد ذاكرتها. -

يرد مراد بغضب:

متى؟ -

هو أمر الله، دعني أتحدث إليها ثانية. -

يدخل ياسين بمفرده إلى غرفة أمل التي كانت تحتضن الرضيع ناظرةً إليه وقال:

ميلاده يُعَدُّ معجزةً إلهيةً إذ وُلد وأنتِ في غيبوبةٍ تامة.

أمل: أنا ولدته؟

ياسين: نعم، كما تمكنتِ من إرضاعه بفضلٍ من الله تعالى.

ترد أمل بحيرة بيضاء:

لا أتذكر شيئًا. -

كنتِ في غيبوبةٍ تامةٍ نتيجةً لوقوعك من على الدَّرَج،وأنتِ حاملٌ في شهركِ الثامن، كما أن لديكِ ابنتين توأمتين في السابعة من عمرهما: سما وسنا، أما هذا الفتى فقد أسماه زوجكِ على اسمي: ياسين. -

زوجٌ، وأولادٌ، لا أتذكرهم، ولا أتذكر عني شيئًا! أنا متعبة جدًا. -

هل لي بنصحكِ؟ -

نعم أرجوك. -

- تناسي تمامًا أنكِ فاقدةٌ للذاكرة، واشكري الله أنك استيقظتِ من الغيبوبة، ودعي الأيام تُعرِّفكِ على أمل وعائلتها، يومًا ما ستَصِلين، ربما تَرَين لقطاتٍ من ماضيكِ، دعيها تأتي ولا تتشبثي بها كي لا تفر. واصبري، أعلم أن ما أقوله يبدو لكِ بعيدًا كل البعد عن ما تشعرين به ،ولكن الجسد البشري معقدٌ وعلينا أن نتعامل معه برفق.

أمل مطمئنة قليلًا:

ستكون دومًا إلى جواري؟ -

- لا ليس كثيرًا، فأنا طبيب تخدير، ولكنني صديقٌ لزوجكِ وأرَحِّب دومًا بمعاونتك، ولكنكِ لن تحتاجي إليّ.. أنتِ تحتاجين إلى عائلتك وأختك.

أمل بحيرة :

لي أخت أيضا؟ -

ياسين: نعم، أختٌ توأمٌ لكِ، وهي زوجةٌ ولديها أبناءٌ أي أنكِ خالةٌ أيضًا، مرحبًا بكِ ثانيةً في دُنيانا.

***

أمل

يجلس مراد إلى أمل فرحًا ووجلًا في آن واحد ويقول لها:

طمأنَني الأطباء على حالكِ يا أمل، ولكنكِ ستبقين قليلًا تحت الملاحظة في المستشفى، وستأتي مُنى أختكِ - بعد قليلٍ ومعها بنتانا ليرياك.

أمل جزعةً: لا، أرجوك انتظر.

يمسك مراد يدها فتسحبها وكأنه غريب، يكتم مراد حزنه ويقول:

ما بكِ؟ -

لا أريد أن أبدو أمام البنتين كغريبة، كيف سأتعرف عليهما؟ لا أريد أن أصدمهما. -

دومًا لكِ قلبٌ من ذهب،لا تخافي، سأحدثكِ عنهما، ولتتعرفي عليهما فهذا سهلٌ حتى وهما متماثلتان، لأن - سما قررت أن تمضي على خطاكِ، وقامت بقص شعرها بنفسها وصدمتنا جميعًا، ولكن مُنى أختكِ قالت إنكِ فعلتِ نفس الشيء في صِباكِ، وتخلصتِ من شعركِ الطويل،

شاعرةً أنه قيدٌ لا تتحملينه.

هل فعلْتُ هذا حقًا؟ لا أتذكر -

مراد: لا عليكِ من هذا، ودعيني أصف لكِ بعض الأشياء الخاصة بالبنتين قُبَيل وصولهما.

بعد ساعة تدخل مُنى والفتاتان ليحتضنَّ أمل، فتحضنهن وهي شاعرةٌ بصدمةٍ شديدةٍ إذ أن أختها تشبهها جدًا، والبنتان صورةٌ مُصغَّرةٌ منهما.

وبعد دقائقٍ من الصراخ فرَحًا بعودة أمل للحياة، تشعر أمل برغبةٍ في البكاء شديدة.

تنظر مُنى إليها، وتطلب من مراد بطريقةٍ مُحذِّرةٍ أخذ البنتين لشراء الورود فَرْحةً بعودة أمهما،

فيأخذهما ويخرج، فتحتضن مُنى أختها قائلةً:

تنفسي بهدوءٍ يا حبيبتي.-

تنظر إليها أمل متعجبة.

فتقول مُنى بحنان وفرحة:

أنتِ نصفي الآخر، فكيف لا أشعر بكِ؟ لا عليكِ.. تذكري فقط بيَقينٍ أن هذا الوقت سوف يمضي. -

***

نغم ونغم

ما هذا كله يا نغم؟ أي بحرٍ ألقيتِ نفسكِ به بلا قاربٍ ولا حتى قشةٍ تتعلقين بها لتنجي؟-

لا أهتم.. أنا دُفنتُ منذ سنواتٍ منذ أن زوجني أبي بابن عمي، وعشتُ جسدًا بلا روح حتى طلقني بدون - شفقة، كان من الممكن أن يتزوج ولم أكن لأناقش حقه في إنجاب الأطفال، كنتُ لأرضى أن أكون مع ضرة، ولكن زوجته الشابة رفضت أن يكون لها ضرةٌ واشترطت عليه الطلاق،

ليهنأوا بعيدًا عني.. فأنا الآن حرةٌ ولم أغضب ربي أبدًا.

وأمل؟ -

ما بها أمل؟ أنا أريد أن أشاركها أصغر مساحةٍ في قلب مراد، أعرف أنه زوجٌ وأب، وأنا بلا زوجٍ ولا - أبناء، لا أريد سوى أن أعيش له زوجةً وأسترد ما ضاع مني منذ سنوات.

تحلمين.. ما تتحدثين عنه كان ليحدث فيما مضى قبل أن يقوم الإعلام والتلفزيون بإفساد وتحطيم أفكارٍ - كثيرةٍ ومعتقداتٍ دينيةٍ أقرها الله من فوق سماواته ورفضوها هم.

هناك الله دومًا.. أنا لا أفهم سوى هذا، أنا لا أريده في وضعٍ حرامٍ أو خاطئ، أنا أريده زوجًا لي أمام الله - قبل المجتمع.

أمل قد تغفر لمراد علاقةً آثمةً ولا تغفر له الزواج، وما يحدث معها هذه الأيام سيجعلها هشةً للغاية. -

من يدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا. -

أخاف عليكِ من طول التمني وحرمان الوصول. -

وأنا لا أستطيع التخلي عن مراد، أَوَلَيْس من حقي أن أعيش؟ -

وحقها؟ -

لن آخذ منه شيئًا، فأنا لا أطمع في ماله ولا ميراثٍ، ولا شيءَ سوى أن أُكتَب باسمه، لأعود نغم مراد، هل - قرأتِ ما كتبه عني في خواطره؟! جزءٌ منها أنا والآخر أمل، وعلى هذا أن يستمر.

***

أمل ومراد

ظل مراد لأيامٍ يتحدث إلى أمل مطمئنًا إياها وشارحًا لها الكثير عن حياتها، في إحدى المرات قال لها:

أمل هناك أمرٌ ما أحتاج أن أخبركِ به.-

أمل بتوجس لا تدري سببه:

ما هو؟-

أنا وأنتِ لدينا حضانةٌ صغيرةٌ للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، أنشأناها منذ سنواتٍ قليلةٍ ووقتي لا يسمح لي بالإشراف عليها، كما أن المعلمات والموظفات لا يستطعن تولي الإدارة، وفكرت بتعيين مديرةٍ مؤقتةٍ متفرغةٍ ،سأشرف عليها، حتى تتمكني من العودة لمكانكِ والإشراف عليها بنفسك. -

هل أستطيع رؤيتها؟

مراد متوترًا: بالطبع بإمكاني تحديد موعدٍ معها لتزورك.

لا، أنا لا أتحدث عن المديرة بل الحضانة. -

بالطبع بإمكانكِ الذهاب بعد خروجكِ من المستشفى، كما يمكنكِ الذهاب إلى الأتيليه حيث تعملين -

أنا قمتُ بتأجيل زيارة صاحبة الأتيليه لكِ، هي صديقةٌ قديمةٌ لوالدتكِ واعتقدنا أنا ومُنى أن زيارتها لكِ قد تؤثِّر سلبًا عليكِ، حتى الأهل نصحَنا ياسين بعدم زيارتهم في الفترة الحالية حتى تعودي للمنزل.

أمل بامتنان:

أشكركم لتفهمكم حالي. -

هي أختكِ وأنا زوجك. -

تتوتر أمل ثانيةً وتقول: أرجوك اجعل هذه السيدة تزورني.

حاضر ولكن على أحدنا أن يكون معكِ يوم الزيارة، حتى لا تضغط عليكِ بحكاياتها. -

لا، أرجوك أريد أن أكون معها وحدي، وإن تعبتُ أو أجهدَتْني سأنهي الزيارة، -

أعدك بذلك.

***

نغم ومراد على الهاتف

نغم بتوتر:

أعمل في حضانة أمل؟ -

مراد: نعم هذا ما اهتدى له قلبي وعقلي، ولنَدَع الله تعالى يدبر لنا الخير جميعًا، فأنا لا أريد شرًا بكِ أو بها.

مراد في السنوات الماضية كنت أقرأ عني وعن أمل سويا في خواطرك، كنتُ أشعر أنك لم تكرهني لِما بدر مني. -

مراد بحيرة:

كانت روحي تهيم بينكما ولكنني كنت أعلم أنكِ زوجة رجلٍ سواي، فكان عقلي يمنعني عن تقصي حالك ويأبى قلبي إلّا أن يكتب عنكِ. -

نغم بصوت حنون دافيء:

وأنا كنت مثلك عاهدت الله أن لا أتواصل معك أبدًا، رغم أنه كان من الممكن أن أتواصل معك على موقعك كمعجبةٍ بما تكتب، ولكنني لم أستطِع هذا، وكانت خواطرك تقول لي: لا زلتِ يا نغم في حياته. -

إذَن أرجوكِ اقبلي العمل في الحضانة وليقضي الله أمره فينا. -

حاضر يا مراد. -

هل لي بطلبٍ آخر؟ -

عيوني لك. -

اقرئي لي أي خاطرة كتبتُها أنا وشعرتِ بروحكِ فيها. -

إذَن لتكن هذه الخاطرة: -

قلت لي
أنتِ حلوة
ولديكِ نظرةٌ
تذيب الجليد
نظرةٌ
من الصعب
على أي فنانٍ

أن يأسرها
في لوحة..

وقلت لك
أن عينيك
هي الحلوة
وربما
حبك لي
هو مَن
جعلني
أحلى..

ونظرتُ إلى
مرآتي
فوجدتها
تشهد لي
بأنني صرت
بعدما أحببتني
أشبه قطعة
الحلوى..

ورحلتَ عني
فخاصمتُ نفسي
وخاصمَتْني
المرايا
حتى أنني
صرتُ كلما
نظرتُ إليها
غضضتُ الطرف
عن ملامح وجهي
ووجدتها تقول
لي بهمسٍ
موجعٍ أنني
بدونكَ عدت
أنثى بلا ملامح
هجرَتْها كل
فرحة..

يصمت مراد فتسأله نغم:

هل كنتُ على حقٍ يا مراد؟! هل كنت تكتب عني؟!-

مراد: نعم يا نغم كتبتكِ فيها.

***

أمل وهدى

تزور صاحبة الأتيليه أمل وهي تشعر بالأسى والحزن الشديد لمصابها وتحتضنها بلهفة أم قائلة:

أمل يا ابنتي الحمد لله على سلامتك، فرحتُ كثيرًا بخبر استيقاظكِ من الغيبوبة وانتظرتُ هذه الزيارة بكل شوق.

أمل: شكرًا لكِ وأعتذر عن برودة استقبالي لكِ فأنا ..

تقاطعها هدى: لا تقلقي لهذا، وأنا فقط هنا للاطمئنان عليكِ، وأريدكِ أن تعلمي شيئًا واحدًا، أنتِ مَن علمتني إياه: أنتِ كنتِ ولا زلتِ تتعاونين مع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وكلما كنتِ تذهبين إلى هناك، كنتِ تعودين لتَقُصِّي عليَّ ما تعلمتِه ومارستِه، ومنكِ تعلمتُ حب ابن ابنة صديقتي المصاب بالتوحد بعدما كنتُ لا أتحمل الجلوس معه لساعةٍ خوفًا من فشلي معه.

تنظر أمل بعيونٍ مبللةٍ بالدمع لهدى التي تكمل:

دومًا كنتِ قويةً منذ صغركِ وعنيدةً ومثابرة، وكلي ثقةٌ أن هذا سيساعدكِ يا ابنتي لتعودي أمل التي كنتِها - السنوات الماضية.

أنتِ كنتِ صديقةً لأمي رحمها الله، كيف كانت؟ -

أنا كنتُ جارةً وزميلة دراسةٍ وصديقةً مقربةً إلى أمك، كنتُ أنا فنانةً أرسم، وهي كانت فنانةً تحيك الملابس وتبتكر الأزياء والتطريز، منها ورثتِ الفن ولكنكِ تتبعتِ خطاي أنا في الرسم. -

تضحك هدى وسط الدموع وتقول:

مُنى أخذت من والدتكِ حب الخياطة والتطريز وتصميم الأزياء،وكما كنتُ أقوم بتسويق أعمال والدتكِ سرًا - بعيدًا عن والدك،أقوم الآن بالتسويق لأعمالك وأعمال مُنى ولكن جهرًا.

أمل بتعجب:

لِمَ سرًا؟ -

ترددت هدى ولكن أمام إصرار أمل قالت:

رفض أبوك أن يكون لأمك اسمٌ وشهرةٌ، ورفض عملها حتى ولو من المنزل، سامحيني ولكنه كان أنانيًا لا يحب أن تكون زوجته أحسن منه.

فدفن موهبتها؟ -

نعم، هناك رجالٌ غير أسوياء كأبيكِ، ورجالٌ أسوياء كزوجكِ، الذي لم يرفض عملكِ سواءً في الرسم، أو في دار الحضانة وغيرهما. -

هل كنتُ أوفق في كل هذا؟ -

بجدارةٍ يا ابنتي وكان هو يدعمكِ ووالداه أيضًا، وسكنكِ معهما في نفس البيت ساعد كذلك. -

أنا خائفةٌ من العودة إلى المنزل، العمارة كلها يسكنها أهل مراد كما قال لي،وأشعر أنني سأصاب بالانهيار لمجرد التفكير بأن لا ذكريات لديَّ وسط كل هؤلاء. -

أنتِ لست بِقلقةٍ فأنتِ أمل، ولا تنسي أن لديكِ جارةً صديقةً وهي في أمَسِّ الحاجة إليكِ. -

مَن هي؟ -

اسمها عُلا وهي ابنة جارتكم، ومن المؤكد أنها زارتكِ وأنتِ في غيبوبتك،أو لعلها لم تقم بهذا، وعذرها معها، حينما تعودين إلى بيتك قومي بزيارتها، فهي كانت تزوركِ في الأتيليه. -

أمل بحيرة: عُلا!!

***

عُلا وعُلا

أمل ستأتي أخيرًا إلى المنزل. -

ولكنني لم أكن أزورها في المنزل إلّا نادرًا. -

لا يهم، سأزورها ولن أبالي. -

والناس؟! -

الناس لا يصمتون في كل الحالات،، يضعون أنوفهم في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ من شؤوننا -

كم أود لو جدعتُ أنوفهم.

هههههههه دكتورة عُلا دكتورة الأدب الإنجليزي الكاتبة احترفت اللغة العربية. -

والفضل يعود لهذا لله تعالى ولأمل، فهي مَن علمتني حب اللغة العربية، وجعلتني أقرأ القرآن، وأتدبره، وأتدبر آياته، فأصبحت لغة الضاد لغتي الأولى، بعدما كنت أكرهها كثيرًا، ولا ينطق لساني سوى بالإنجليزية والفرنسية،والسبب في ذلك يعود لأمي الحبيبة السيدة الإنجليزية الراقية التي أرضعتني اللغات الأجنبية قبل اللبن. -

تضحك عُلا لنفسها وتقول:

والتي أصبحَتْ تجيد اللغة العربية أكثر مني، ويعود الفضل أيضًا في هذا لله ولعزيمة أمل، -

كم كنا نضحك حينما تسرق أمل ساعةً من وقتها وتنزل إلينا بكتب محو الأمية، التي كنتُ أضحك وأقول لأمل عنها:

أخاف أن تكون هذه كتب نحو الأمية. -

فكانت تضحك بإصرارٍ وصخبٍ وتقول:

مبقاش أنا أمل إن ما خليتك إنتِ وماما تتكلموا عربي وعامي ولا اللي جايين من بحري** =

فأضحك أنا قائلةً:

أيوووووووه. -

وحشتيني يا أمل، من يوم وقوعكِ وأنا من البيت للجامعة، ومن الجامعة للبيت، ولولا وجود أمي وكتاباتي، لكنتُ لا أدري ما حدث لي في غيابك. -

دومًا كنتِ تنصحينني بالخروج وعمل علاقاتٍ خارج الجامعة بعيدًا عن هيئة التدريس والطلاب ولكنني - جبنت،فوردةٌ إنجليزيةٌ مطلقةٌ – كما يطلقون علي – تُمثِّل طلقة رصاصةٍ للكثيرات من الصديقات خوفًا على أزواجهن، وتُمثِّل لقمةً سائغةً في ألسن الحُقراء.

ولكن وحدكِ أنتِ مَن رفضتِ هذا، وقلتِ لي إن اجتمع ضدكِ الناس فهناك مَن لا يزال بقلبه الرحمة ولا يَسِمُكِ بجريرةٍ لا ذنب لكِ فيها،كنتُ أضحك وأقول لكِ: وما الوسم؟

تقولين لي: هو الختم الذي تُختَم به الماشية.

فأضحكُ حد البكاء وأقول لكِ: *تعبير في الجوووول يا بت يا أمل*

سعيدةٌ أنا وأمي بعودتكِ، ولكن كيف سأشكو لكِ حالي وأنتِ لا تدرين عني ولا حتى عنكِ؟! -

***

فيكتوريا وفيكتوريا

ستعود أمل قريبًا، أمل* معلمة ابنتي*،كما أحب أن أقول لها، فتضحك وترد عليَّ بشقاوةٍ: يا فيكي

معلمتي بالعربية أم بالعامية (المعلمة)؟

فأضحك لتلاعبها بالألفاظ وأقول لها: أنتِ هديةٌ لنا يا أمل، منذ زواجكِ بمراد وأنا أحب أن أراكِ لأشعر بالتفاؤل والإشراق،كم قمتِ بتحويلي أنا وعُلا من امرأتَين أصابهما اليأس، إلى امرأتَين كلهما إصرارٌ وشغفٌ وحبٌ للتقدم في الحياة والتنعم بما يعطيه الله لنا، كم أود لو أجلس معكِ كما اعتدنا أنا وأنتِ وعُلا وأحكي لكِ لأذكِّركِ بنا.

أنا فيكتوريا يا أمل أو فيكي كما تحبين ، فيكتوريا الإنجليزية التي هربَتْ من بيت والدَيها في إنجلترا

لتتزوج بمهندسٍ مصريٍّ شابٍ أحبَّها وأحبَّت دينه وأحبَّته، فيكتوريا التي توفي عنها زوجها وهي حاملٌ في طفلتها الأولى، فأرسلت لوالدَيها برقيةً تطلب منهم أن يسامحوها، فتبرأوا منها وهددوها، فاحتضنت ابنتها وعملت كمعلمةٍ لِلُّغة الإنجليزية، واعتزلت الناس وعزلت ابنتها معها.

حتى أن ابنتها تزوجت، وبعد عامٍ من الزواج؛ عادت إلى بيت أمها مصابةً بانهيارٍ عصبيٍّ بسبب زوجٍ كان لا يعرف التعامل مع زوجته سوى بِلُغة الضرب، وهذا أدى لعزلتهما أكثر وأكثر.

حتى جيراننا الطيبين الذين اعتادوا أن يطرقوا الباب بأطباقٍ فيها ما لذ وطاب في المناسبات، وغير المناسبات، كان التعامل معهم صعبًا لأن فيكتوريا لم تكُن تتحدث العربية جيدًا، وابنتها كانت دومًا مشغولةً بالدراسة حتى حملت لقب أصغر دكتورةٍ في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب.

ثم جاءت أمل، اسمها أمل وهي أمل، أحيَتْ أمل في قلوبنا كل ما هو جميل، أصرت على محو أميتنا وشاركتنا وقتها رغم انشغالها الدائم، حررت طفلتي قليلًا قليلًا من عقدة التقوقع على نفسها،

دومًا كان بقلبها مكانٌ للجميع، كم أنا فَرِحةٌ بعودة ابنتي الصغيرة، فبعودتها سيستمر الأمل، حتى وإن كانت فاقدةً للذاكرة.

***

أمل في البيت

أخذت أمل تتجول في المنزل بقلبٍ فارغٍ لا يكاد يحمل أي ذكرى له، وكانت كلما تجوَّلَتْ في الغُرَف كلما ازدادت حزنًا واشتد الألم برأسها، حتى أجبرها مراد على الدخول إلى الفراش قائلًا:

يكفي هذا اليوم، وغدًا يومٌ آخر، احتضني ياسين ونامي.-

أمل قلقةً:

وأنت أين ستنام؟ -

مراد بصوت حزين:

هذا سريري كما هو سريركِ يا أمل، ولكنني سأنام بغرفة المكتب حتى تستردي عافيتكِ ونتقارب من جديد، لا تقلقي فأنا أعلم أنكِ تشعرين أنني غريبٌ عنكِ، وأتفهم هذا. -

شكرًا لك. -

بدأت أمل في البكاء،فقال لها مراد وهو يتمنى أن يحتضنها ليخف ما بها من أحزان وهواجس:

والآن لِمَ البكاء؟ -

الجميع يعلم ويتفهم حالي، وأنا لا أعلم ولا أتفهم أي شيءٍ سوى أنني استيقظت لأجد نفسي أختًا وأمًا. -

وزوجةً أيضًا. -

نعم وزوجةً ومديرةً وصديقةً وجارةً وزوجة ابنٍ وزوجة أخٍ ،الخ، كيف كنتُ كل هذا؟ -

ولا ننسى أنكِ كنتِ أمًا لعصافير ويمام السماء. -

كيف هذا؟ -

كنتِ تضعين في كل صباحٍ فُتات الخبز والماء على درج المطبخ، فتأتي أسرابٌ من العصافير واليمام لتشرب وتأكل، حتى أنهم في غيابك سألوني عنكِ كثيرًا. -

تضحك أمل وتقول:

وماذا قلت لهم؟ -

كنتُ أقول لهم ستعود قريبًا. -

هل سيعرفونني؟ -

أنا واثقٌ من هذا، ولكن بالله عليكِ كيف فعلتِ فعلتكِ هذه بِهِم؟ -

وماذا فعلت؟ -

هم يرفضون الخبز الأسمر والأرز، ولا يأكلون سوى الخبز الأبيض والتوست كابنتيك. -

تضحك أمل بوداعةٍ، فيقول لها مراد:

أنتِ تشبهين إحدى يماماتك، هيا أغمضي عينَيك ونامي، فالبنتان لديهما مدرسةٌ والعصافير ستنادي.-

وكيف سأتصرف؟ -

أنا معكِ، لا تقلقي. -

مراد موبايلي به أرقامٌ وأرقامٌ ترسل لي وتهاتفني، وأنا لا أعلم أيًا من المتصلين، ماذا أفعل؟ -

سأحاول معكِ فيما يخص الأرقام التي أعرفها، وبإمكانكِ إن أردتِ الذهاب للأتيليه ودار الحضانة قريبًا لمعرفة العديد من الأرقام عبر الموظفين هناك. -

هل تعرف مَن هي أميرة؟ هي ترسل لي كثيرًا على الموبايل، وذكرَتْ لي أنها علمت عبر الفيس بوك بما حدث لي، وتريد أن تطمئن على حالي، وتتواصل معي للضرورة. -

لا.. ولكن سيدتي الجميلة أنتِ كنتِ كتفًا للكثير من الباكيات فلربما هي إحداهن. -

هل تعتقد أنها في حاجةٍ ماسةٍ إليّ؟ -

لننتظر للصباح، لا ترهقي عقلكِ الآن فالليل للراحة والنوم. -

***

أميرة

يا الله كم أحتاجكِ يا طنط أمل يا صديقتي الكبيرة، منذ أن قرأتُ خبر مرضكِ على الفيس بوك وأنا أبكي ولا أستطيع الاطمئنان عليكِ.أرسلتُ لكِ على الوتس آب العديد من الرسائل ولكنكِ لا تجيبين، تُرى هل أنتِ مريضةٌ للغاية هكذا؟ وهل الحمل والجنين بخير؟

ليتني كنتُ في مصر، لكُنتُ سافرتُ إلى الإسكندرية بحثًا عنكِ حتى أطمئن عليكِ، ولكنني كما تعلمين خارج مصر مع والدي؛ والدي الذي سافر بنا أنا وأخي الصغير مبتعدًا عن بلده الحبيب

بعدما طلَّق أمي؛ أمي التي لم أرَها منذ كان عمري سبع سنوات، وقال لنا أبي أنها طلبت منه الطلاق ورفضَتْ أن نبقى معها حينما قرر هو الهجرة.

أمي التي وصلْتُ لحساب الفيس بوك الخاص بها، وخفتُ أن أُغضب أبي إن أضفتها، وخفتُ أن أرسل إليها فترفضني وتلفظني ثانيةً.

أمي التي كبرتُ على كرهها، وعلمتِني أنتِ أن أعذرها، فنحن لا نعلم أي سببٍ جعلها تفعل هذا سوى كلام أبي، والمنطق يقول أننا لا بد وأن نستمع لطرفَين وليس لطرفٍ واحدٍ فقط.

أمي سوسن العطار التي علمتُ منكِ أنها سُجنَتْ من أجل قضيةٍ من قضايا المرأة، إذ كانت حقوقيةً مُناضلةً تدافع عن النساء، ومع أول أيام سجنها نشرت الجرائد خبر طلاق أبي لها، واختطافنا بعيدًا.

أمي التي كنتِ أنتِ أول من أرسل لي صورةً فوتوغرافيةً لها، فشعرتُ أنا وأخي بالفخر أن لنا أمًا يتردد صوتها عاليًا نصرةً للمظلومين، ورغم غضبي أنا وأخي على والدنا، علمتِنا أنتِ أن نعذره أيضًا، فلربما هناك الكثير الذي لا نعلمه.

وفي وسط كل هذا.. وقبل أن نقرر الخطوة المقبلة، غبتِ عني يا طنط أمل، وأنا في أمَسِّ الحاجة لكِ.

اليوم رأيتُ أنكِ أو ربما أحدهم قرأ رسائلي إليكِ، وها أنا أعود لأرسل لكِ ثانيةً، كم أتمنى أن تكوني قد شُفيتِ تمامًا مما أصابكِ، وأتمنى أن تكوني أنتِ من قرأ كلامي، وقريبًا تتواصلين معي علَّنا نصل إلى حلٍ سويًا، فأرتاح أنا وأخي رامي من عذابٍ يسكننا منذ سنواتٍ طِوال.

***

أمل

الله يا أمل الله على كل ما يحيط بكِ، أنتِ كمن يمشي في متاهةٍ، وفي كل ركنٍ طريقٌ، وفي كل طريقٍ هناك أشخاصٌ يتطلعون إليكِ ويعرفونكِ، بعضهم يستنجد بكِ،بعضهم يبتسم لكِ، بعضهم اتخذ منكِ السند، وأنتِ تنظرين إليهم عاجزةً تمامًا، ورغم عجزك فأنتِ تمدين لهم يد العون، وكأنكِ تعودتِ ذلك حتى وأنتِ فاقدةٌ للذاكرة.

أي شخصيةٍ كنتُ أنا؟ وهل كنتُ أجد وقتًا لنفسي وسط كل هذا؟ لا بد وأن أتعرف عليكِ قريبًا إذ يسعدني هذا.

تضحك أمل ساخرةً من نفسها، فيسألها مراد عن سبب ضحكاتها،فتقول:

أود لو أتعرف على هذه الأمل صديقة الملايين. -

مراد ضاحكًا:

ستحبينها كما نحبها وزيادة. -

أنت تقول هذا لأنك زوجي. -

دومًا كنتُ صريحًا مع الجميع، حتى أن البعض يقول لي: -

صراحتك مثل السيف! فلا تقلقي، لن أقول هذا إلّا لأنني منصفٌ وصريح، آه إياك أن تقولي شكرًا لك، - أصبحتِ تقولينها لي أكثر مما تتنفسين.

تضحك أمل:

إذَن سأغيِّر قليلًا، وبدلًا من شكرك سأعتذر لك؛أعتذر لك أنني وضعتك في مأزقٍ تلو الآخر مع البنتين مع - أول صباحٍ لي في المنزل.

هو ليس بالشيء الخطير.. هما تعتقدان أنكِ عدتِ أمل التي تعرفانها، وحينما تَعَجبن مما حدث من نسيانكِ - لِما تحبان من طعام للمدرسة، كان لا بد أن أتحدث إليهما؛ بأن الحادث يؤثِّر قليلًا على أشياء فتنسينها وعلينا مساعدتك وهكذا، عَلي تذكيرك عندما ستعودان من المدرسة هما لسانان لن تتوقفا عن الكلام حتى المساء، والحمد لله أنني جلبتُ معي ملفات العمل هنا، حتى نرتدي معًا دروعًا قُبَيل عودتهم، وإذا ما تكالبا عليكِ تستطيعين أن تتحججي دومًا بياسين وانشغالكِ معه لأنه رضيع، ووقتها سأحكي لهما أماكِ كيف كنتِ معهما وهما رضيعتان صغيرتان.

ما رأيكِ في خطة الحرب هذه يا وزيرتي؟

تليق بك كمَلِكٍ حقًا. -

- المَلِك يعلم أن وزيرته تصنع أحلى قهوةٍ في أنحاء مصر المحروسة، فهل لكِ بإعداد القهوة وأنا أهووووى سيدتي أمل؟

طلباتك أوامر. -

تقصدين أهوى؟! -

لا بل القهوة. -

إذَن سيري أمامي إلى المطبخ كي تعديها أنتِ وأراقبك أنا. -

مراد. -

نعم! -

- أريد أن أذهب للأتيليه قريبًا، ولدار الحضانة لأقابل الجميع، أريد أن أُمضي يومًا مع والدَيك وأختك، وآخَر مع مُنى وأولادها، وآخَر مع جيراننا.

مراد مقاطعا: القهوة يا امرأة.. هذا الكلام يحتاج إلى العديد من فناجين القهوة.

***

أمل ونغم

في دار الحضانة تتقابل أمل مع نغم، لتستعلم منها عن أحوال الدار.

نغم: وهكذا كما ترين فالأمور كلها مستقرةٌ في دار الحضانة، وأنا سعيدةٌ جدًا بعملي هنا، الجميع من حولي ساعدوني كثيرًا، معلماتٌ وأمهات، شعرت أنني وسط أسرةٍ جميلةٍ مترابطة.

أمل: سامحيني إذ لا أستطيع أن أمد لكِ يد العون، فأنا منذ أفقت من غيبوبتي فاقدةٌ للذاكرة كما تعلمين.

أعرف هذا ودومًا أدعو الله لكِ، هل تعلمين أنني كنتُ أسكن في العمارة المقابلة لبيت زوجك مراد؟ وأننا كنا رفاق لعبٍ في شارع البيت لسنواتٍ طويلة، ثم ذهبنا للجامعة سويًا ولكن مراد يكبرني بعامَين، وبعد عامي الدراسي الثاني تزوجتُ، ورفض زوجي أن أستكمل دراستي في القاهرة، إذ أننا كنا نعيش بالكويت، وهناك درستُ بعض الدورات التدريبية بعد حربٍ بيني وبين زوجي فزتُ فيها في النهاية.

ولِمَ الحرب؟ -

كان يرفض كل شيء سوى أن أكون مثل أمه ربة منزلٍ فقط، لولا أن عمي- والده- أيدني وأقنعه. -

وهل استفدتِ؟ -

كثيرًا، واعتبرتُها أحسن من شهادةٍ جامعية، وعملتُ بالكويت أساعد عمي في تجارته حتى عدتُ إلى مصر.

عدتم جميعًا؟ -

بل عدتُ وحدي بعدما طلقني ابن عمي- زوجي-،ليتزوج من شابةٍ لتنجب له مَن لم أستطِع إنجابه من الذرية.

آسفةٌ لسماعي هذا. -

وأنا لستُ بآسفةٍ، فهو طلقني إرضاءً لها، رضِي لابنة عمه وزوجته هذا، فلا أسَفَ عليه. -

صحيحٌ كلامكِ، وسيعوضكِ الله خيرًا منه إن شاء الله، أما عن الذرية فهو أمر الله. -

لديَّ حولي أبناء وبنات في الدار أعتبرهم قطعةً مني، وذلك تعويضٌ من الله تعالى لي، لِمَ تبكين يا أمل؟ -

أحيانًا نعتقد أننا نتعرض لابتلاءٍ شديدٍ، وإذا بنا أمام من هم أشد منّا ابتلاءً، ويتعاملون مع هذا الابتلاء بصبرٍ جميل.

ولكنكِ كما أرى على خيرٍ وصبرٍ أجمل. -

نعم، ولكن تحيط بي الظلمة فأنا لا أعرف ماضِيَّ. -

ولكنكِ تعيشين حاضرًا مستقرًا، فاهنئي به حاليًا واصبري تفوزي. -

***

أم محمود

دخل مراد إلى المطبخ في الصباح ليجد أمل في حالة فزعٍ، وأم محمود - السيدة التي تعمل لديهم - تصرخ على الموبايل:

إياك أن تفتح له يا محمود أنا سأستاذن وأحضر لكم في الحال، لا تفتح له يا بني سيؤذيكم ويكسر البيت - ويسرق ما فيه.

نظرت أم محمود إلى مراد وهي تبكي وقالت:

هل لي في الذهاب إلى منزلي والعودة غدا بدلا من اليوم؟-

مراد:

خيرا يا أم محمود؟-

أم محمود:

طليقي يا أستاذ مراد عرف مكان منزلي، وهو الآن يطرق الباب وأولادي في حالة رعب، وتوعد بأنه لن - يذهب حتى أعود إلى منزلي لينتقم مني، لابد وأن أعود للمنزل حالا.

تنظر أمل إلى مراد برجاءٍ صامت، فيقول:

ارتدي ملابسكِ وهيا معي يا أم محمود،سنذهب إلى القسم نأخد قوة من البوليس بضابط ونذهب له -

ولن يتعرض لكم ثانية.

أم محمود:

الله يسعدك ويسلم لك الست أمل ويرجَّع لها عقلها يا رب** -

تنظر أمل إلى محمود مازحةً من لفظ عقلها وتقول بقلق:

ستذهب معهم؟ احترس فعقلي لا يحتمل المزيد من القلق.-

يضحك مراد هامسًا:

وأين عقلك؟ -

تبتسم أمل مستعيدة شعبها وتقول:

أم محمود تقول هو ليس هنا.-

تركب أم محمود السيارة مع مراد ومعهم ضابطٌ صديقٌ له، تتبعهم عربةٌ للشرطة بها عدة مخبرين،

يقول لها الضابط:

- أم محمود سنقف بالعربات بعيدا عن شارعكم، وستمشين أنتِ وحولك سيمشي المخبرون كأنهم سكان في المنطقة، لا تقلقي، أنا سأتابعكم، وحينما تصلين إليه سنكون معك ولن تتعرضي لأي أذى،لا تخافي.

ترتعد أم محمود خوفا وتهمس بالدعاء،وتتذكر كيف التقت بزوجها وخدعها على أنه يعمل بالمملكة ولديه بيت، والكثير من الممتلكات، وبعد الزواج تكتشف أنه عاطلٌ عن العامل ومدمنٌ للمخدرات،

حاولت أن تقف إلى جواره كثيرًا ليتوقف عن المخدرات بلا جدوى، وكانت تنجب الطفل وراء الطفل وتعمل لتنفق على البيت والأبناء وعليه، حتى بدأ في ضربها وسرقة مال تعبها اليومي.

فتحدثت إلى محام تعمل لديه، فقام بتطليقها منه وضم حضانة الأطفال إليها، وسجنه لعدة أشهر بعدما أصابها بعاهةٍ مستديمةٍ، فَقدت على أثرها بصر عينها اليسرى، فتركت المنطقة وسكنت في مكانٍ جديدٍ هي والأبناء بعيدًا تمامًا عنه.

أولادها الحمد لله بخير؛ محمود ومَلَك وعلي، ألحقَتهم بالمدارس وتعمل جادةً على تعليمهم وتثقيفهم

حتى يكونوا أسوياء، وها هو اليوم يكتشف مكانهم ويأتي إليهم لينتقم.

تتوقف السيارات وتنزل أم محمود تمشي وهي متوجسة، وعند اقترابها من مدخل الشارع تجده يقف غير بعيد من المنزل، تقترب وهي خائفةٌ وعندما واجهته حاولت الابتعاد فإذا به يصرخ:

فاكرة حتهربي مني يا سعدية؟ يومك اسود**-

وقبل أن يهجم عليها فوجئ بوجود اثنين من الرجال ضخمي الجثة يمددانه أرضًا، ويخرِج أحدهما لفافةً يعطيها للضابط قائلًا: وجدنا هذه اللفافة في جيبه يا فندم.

يصرخ أبو محمود:

- كذب.

فيلاحقه أحد المخبرين بضربةٍ على فمه مخرسًا إياه،ويقول الضابط:

- مخدراتٌ وتهَجُّمٌ على بيت طليقتك وإرهاب الأولاد وتهَجُّمك عليها، هذا سيجعلك تمضي فترةً طويلةً لدينا في السجن يا أبو محمود.

يتابع مراد الموقف أمامه ويسأل نفسه:* تُرى هل كانت اللفافة فعلًا في جيب أبو محمود؟ أم أنه؟!

ربما، من يدري؟*

***

أمل ومراد

تجلس أمل في غرفة الرسم في بيتها ناظرةً إلى رسوماتها وفراشيها،ا وأشياء كثيرةٍ جعلتها تتساءل: تُرى هل أستطيع أن أرسم بنفس الروح التي كنتُ أرسم بها سابقًا؟

تُرى هل ما زلتُ أنا أمل القديمة؟ أم أنني أملٌ جديدةٌ لا تَمُتُّ بِصلةٍ لأمل الماضي؟

أخذَتْ أمل تحاول أن ترسم، فإذا بها ترسم لوحةً جميلةً لفتاةٍ تقف في مكانٍ مرتفعٍ وحولها العشرات والمئات من الحمائم واليمام والعصافير،كانت الفتاة ذات ملامح جميلةٍ وشعرٍ أصفر طويلٍ يعانق ظهرها،وكانت ترفع يديها إلى السماء، وعلى كل يدٍ وقفَتْ عصفورةٌ صغيرة،وفي الجهة المقابلة أطلّت مدينةٌ ما باردة الملامح.

نظرتْ أمل إلى الصورة محاولةً أن تستوعب رسمتها وإذا بها تسمع صوت صفير مراد.

تنظر أمل إليه قائلةً:

أعجبتك؟ -

مراد: أعجبني دخولكِ للمرسم لأول مرةٍ منذ رجوعكِ من المستشفى، أما اللوحة فبإمكاني أن أقول أنها تمثل الدكتورة عُلا جارتنا.

ترتعد أمل قائلةً: كيف؟ أنا حتى لم أرَها حتى اليوم، فمنذ عدنا وهي ووالدتها غير موجودتين، ووالدتك ذكرت أنهما سافرتا في عجالةٍ على أن يعودا قريبًا.

مراد: هو عقلكِ الباطن على ما أظن يا أمل يشعر بالقلق عليهما، فهما كانتا مقربتين إليكِ كثيرًا،

هيا ارتدي ثيابكِ طالما قررتِ العودة للرسم.. أريدك أن ترَي شيئًا.

يأخذ مراد أمل إلى مكتبه لتجلس أمام اللوحة التي كانت سببًا في لقائهما، ويتركها بدون حديثٍ منشغلًا قليلًا بالرد على عدة مكالمات.

تنظر أمل إلى اللوحة بعينٍ حزينةٍ تحاول أن تتذكر، وإذا بصورةٍ تقفز أمام عينها لفتاةٍ تجلس على سقَّالةٍ ترسم على الحائط، فتقف فجأةً متجهةً إلى الحائط فلا تجد شيئًا، تنظر إلى مراد الجالس على مكتبه فترى ومضةً لرجلٍ شابٍ يحادثها مبتسمًا، تقترب منه فلا تجد سوى زوجها، تنظر إلى الكتب المصفوفة في المكتبة أمامها فتتذكر كتاب خواطر بعينه، كَتَبَ فيه مراد خاطرةً بعنوان *فرحة*

تقترب من الكتاب وتفتحه لتجد أمامها:

فرحة

ميّل عليا
وجال لي:

العيد النهارده
يا فرحة
جوليلي
عايزاني
أجيبلك
إيه في العيد؟

جولت له:
نِفسي في حاجة
تخَجّجْهالي
مش حطلب
منك بعدها
حاجة واصل
يوم العيد..

جال لي:
أجيب لك
ضي عينيا
جولي يا سكني
ولو أجدر أخَجّجْهالك
أجعل لك
العيد داه سعيد..

جولت له:
عايزة أتمرجح
في المراجيح
أبويا وأخويا
حرموني منها
في صغري
وحرموني فرحي
بيوم العيد..

جال لي:
جومي بينا
يا فرحة عمري
عالمراجيح
داه انتِ
فرحة جلبي
يا فرحة
وانتِ هديتي
كل عيد

تصرخ أمل بصوتٍ واهٍ:

مراد! -

فيجري مراد عليها قبل أن تخر أرضًا مغشيًا عليها.

***

أمل وياسين ومراد

في المستشفى تتحسن حالة أمل فيمازحهما ياسين قائلًا:

أصبحت مقتنعا أنه لا مرضى لدينا في هذه المشفى سوى أنت يا أمل. -

أمل خجلى:

أعتذر.. مراد هو من أصر أن نأتي للمشفى ليطمئن. -

يرد مراد معللًا :

لقد فقدَتْ وعيها وكان ياسين يبكى هو الآخر فلم أدرِ ماذا أفعل؟! -

ياسين: ياسين هادئٌ الآن وهو يبكي كأي رضيع، أما أم ياسين فلا شيء مخيف كما يقول الطبيب،

هي مجرد لقطاتٍ تعود إليها من الذاكرة، فتُحدث لها نوعًا من الصدمة.

ونحن اتفقنا قبلًا: لا تعرِّضي نفسكِ للصدمات، ولا تسألي كثيرًا، ودعي الماضي يأتيكِ وقتما يشاء الله.

مراد غاضبًا من نفسه:

هي غلطتي.. أنا من فعلت بها هذا حينما رأيتُها ترسم فأحببتُ أن أذَكِّرها. -

ياسين رافعًا يديه باستسلام:

لا بأس ولكن لا تتعجلوا أمرًا، دعوا ما لله لله.-

أمل: ونِعم بالله.

***

أمل وأميرة

تجلس أمل لتكتب رسالة لأميرة على الفيس بوك.

عزيزتي أميرة

سامحيني أنا لم أتخلَّ عنكِ، ولم أغِب سوى لعذرٍ خارجٍ عن إرادتي، أُصبتُ بفقدانٍ في الذاكرة يا أميرة ولم أعد أتذكر أي مخلوقٍ.. حتى أنا لم أعد أتذكرني.

رُزقتُ بمولودٍ اسمه ياسين وهو بخير حال، وأنا الآن بألف خيرٍ ولكن لا زلتُ بلا ذاكرة.

فهمتُ من رسالتك كل القصة، ومن خلال قراءتي لكتاباتنا سويًا علمتُ كل الحكاية، قمتُ بتتبع الخيوط وأستطيع أن أتواصل نيابة عنك وعن رامي مع الوالدة فما رأيكِ؟

بانتظار ردك.

لكِ مني كل حب

أمل

****

أميرة

طنط أمل.. سلامتك ألف سلامة، بكيتُ كثيرًا حينما قرأتُ ما حدث لكِ، أتمنى أن تعودي كما كنتِ وكما عرفناكِ، الجميع في جروب الرسم يفتقدونكِ، وقمتُ بإبلاغهم أنكِ ستعودين قريبًا.

ادخلي على الفيس بوك فلربما حينما تتجاوبين معنا ثانيةً ترتاحين، اكتبي ما تَمرِّين به وسنعذرك ونساعدك كما كنتِ دومًا تساعدينا

أوافقكِ الرأي بخصوص أمي.. أرجوكِ أرجوكِ

في انتظار ردكِ في القريب

قبلاتي للبنات ولياسين خطيبي ..

أميرة

***

أمل في الأتيليه

في الأتيليه تدخل نهال إلى غرفة أمل وتقول:

- أمل هناك رجل مصر على مقابلتك، وأن تقومي أنت بتصميم الرسومات الخاصة بالفيلا التي يملكه، قلت له بأنك مريضة ولم تعودي للعمل بعد، قال أنه يعلم كل هذا، ويعلم أنك عدت للعمل مؤخرا! لا أرتاح له وبلّغت الأستاذة هدى على الموبايل ولكنها لم تأتِ بعد.

أمل:

- دعيه يدخل بعد دقائق، وادخلي معه كما تعودنا مع العملاء الرجال، وأنا سأبلغ سمير أن يأتي حالًا وأن يظل في الخارج كأنه ينتظر مقابلتي.

يدخل إلى غرفة أمل رجلٌ عليه هالةٌ من السلطوية والنفوذ لم تشعر أمل بالراحة معه، يمد يده إليها ولكنها تقف متجاهلةً يده كأنها منشغلةٌ بتوقيع الأوراق، ولم تره محيِّيًا وترحب به.

أستاذة أمل.. معكِ عزيز علي مدير وصاحب شركات-

A A Group**

أمل:

- تشرفنا أستاذ عزيز، كيف لي أن أخدمك؟ أستاذة هدى ستصل بعد قليل.

- أنا لا أريد هدى أنا أريدك انتِ، رأيت لوحات خاصة بكِ في شركة صديق، وأريد تصميم رسومات في الفيلا الخاصة بي في القاهرة في التجمع الخامس.

- تمام، الرجا ترك العنوان والبيانات مع الأستاذ سمير، وسنحدد لك موعدا نرسل مهندسين لرفع المقاسات، وسنتواصل لمقابلتك بعد ذلك لترى التصميمات أنت وزوجتك.

- أنا لا زوجة لي، أنامطلق.

- إذن سنحدد موعدا معك لمعرفة ما تفضله، ثم أعرض عليك رسوماتي، ثم يسافر شباب متخصصون لتنفيذها

- أنا أريدك أنت القيام بهذا.

- أعتذر منك.. أنا حاليا أصمم الرسومات، ولا أقوم برسمها فظروفي العائلية تجعلني لا أستطيع السفر، كما أن ظروفي المَرَضية تمنعني من الرسم والجلوس على السقَّالة.

حتى وإن قلت سأترك لك شيكا مفتوحا لتضعي فيه المبلغ الذي يرضيك ؟ -

هي ليست مسألة مال أستاذ عزيز. -

المال يحل كل شيء .. من الممكن جلب أولادك معكِ، وتقيمين في الفندق الذي تختارينه على نفقتي الخاصة، أو أجلب لك شقة مجهَّزة ترتاحين فيها أنتِ والأولاد، المهم أنت من ينفذ الرسومات. -

عذرا، أنا قلت لسيادتك كل ما لدي وأعتذر منك الآن فلدي اجتماع عمل بعد دقائق. -

وأنا لن أذهب قبل مقابلة مديرتك الأستاذة هدى. -

لك هذا ، بإمكانك انتظارها في قاعة الانتظار. -

أنت لا تعلمين مع من تتحدثين! أنا لا يرفض لي طلب. -

أعتقد أنك بالفعل لم تسمع قبلا كلمة لا، ولكنك ها أنت سمعتها مرة،استأذنك الآن في الانصراف. -

***

أمل وفيكي وعُلا

حينما عادت فيكي وعُلا إلى منزلهما، نزلت أمل إليهما، دقت جرس الباب مرةً واحدة، ودق قلبها ألف ألف دقة.

تفتح عُلا الباب فإذا بها ترى أمل تقف ممسكةً بياسين في يد، وفي يدها الثانية اللوحة التي رسمتها في غيابهما، تطلق عُلا صرخةً لتقول: أمل عادت إليكِ ذاكرتك؟

أمييي، فيكيييي، عادت أمل.

تبكي أمل وتترك نفسها لعُلا تحتضنها هي وياسين، وتأتي فيكي كالعاصفة ضاحكةً:

ابنتي الصغيرة أتت؟ -

تنظر أمل إليهما قائلةً:

سامحاني.. أنا لا زلت بدون ذاكرتي. -

تستجمع فيكي الصدمة سريعًا لتقول:

ومن منا يحتاج الذاكرة اليوم والحاسبات والموبايلات ذاكرتهم أقوى؟-

تتضاحك النساء الثلاث وتدخل أمل لتجلس معهما، تحمل فيكي ياسين وتقول لأمل:

وكأنني أحمل مراد طفلًا. -

تبتسم أمل وتسألها عُلا سعيدة ومتفاجئة:

متى رسمتِ هذه اللوحة يا أمل؟-

منذ يومَين. -

هل نقلتِها من صورةٍ لي؟ -

لا، كنتُ أجرِّب أن أرسم ثانيةً وإذا بي أرسم هذه اللوحة، وقال لي مراد إنها الدكتورة عُلا.-

فيكي: إنها بالفعل تشبهها كثيرًا، والبلد الباردة المطلة عليها هي إنجلترا حيث ذهبنا، لقد ماتت أمي يا أمل، ماتت وهي غاضبةٌ عليَّ كما أبي تمامًا،وعرفتُ عبر المحامي أنهما تركا لي ميراثًا كبيرًا هناك

فذهبنا أنا وعُلا لنتسلم ما ورثناه.

تنظر عُلا إلى أمها ساهمة: والعصفورتان!

فيكي: أي عصفورتَين؟!

عُلا وأمل في صوتٍ واحدٍ:

اللوحة.-

فيكي:

لا زلتما مجنونتين؟! أوه فعلًا، كلام صحيح.. العصافير؟-

قد يكون عُلا ستتزوج وتنجب لي اثنين عصافير.

عُلا وأمل في نفس اللحظة:

عصفورين.-

فيكي:

مصرة أنا على جنونكما. -

***

أمل وسميرة

يطرق باب منزل مراد وأمل، فتفتح أمل لتدخل سميرة أخت مراد صارخة كالعاصفة:

دونًا عن كل الناس في هذه الدنيا يا أمل، لا تجدي سوى نغم لتعمل في دار الحضانة ؟-

أمل: لا أفهم.

سميرة: نغم هي حب مراد الأول طلقت، وعادت تسكن في المنزل المقابل لنا، وهذا يعني بالتأكيد أنها تريد أن تعيد الحب القديم.

تنظر إليها أمل وفجأة تتذكر نغم وهي في المستشفى وهي في الغيبوبة، كيف هذا؟

تفرك جبينها وإذا بها ترى مشاهد غريبة وحديثًا عن نغم، وصوت مراد يحدثها عنها، فتقع أرضًا فاقدةً لوعيها للمرة الثانية.

تصرخ سميرة وتحاول أن تمددها، وتجلب لها أي شيءٍ تتشممه حتى تفيق.

سميرة باكيةً:

آسفة والله آسفة.. سيقتلني مراد لو عرف أنني تسببت في أذاكِ. -

أمل: شششش لن يعرف شيئا، وانتِ انسي كل ما قلته لي الآن.

سميرة: حاضر، ولكن ماذا ستفعلين؟

أمل: لا أعلم، دعيني أفكر.

***

أمل وسوسن العطار

أرسلت أمل رسالة على الفيس بوك إلى والدة نهال ورامي رسالة.

العزيزة الأستاذة سوسن

اسمي أمل، أنتِ لا تعرفين عني شيئًا، في حين أنني أعرف عنكِ الكثير،أتحدث لكِ بخصوص أميرة ورامي أولادك، فهل تسمحين لي بذلك؟

ترد سوسن العطار في خلال ثوان قائلة:

ماذا تعرفين عن أبنائي؟-

أميرة صديقةٌ صغرى لي، تتعلم الرسم عبر جروب في الفيس بوك، وتعارفت عليها هي ورامي شخصيًا - عبر الفيسبوك أيضًا.

هل لي برقم موبايلك يا ابنتي وعنوانك؟-

ها هو رقم موبايلي ، وأسكن بالإسكندرية. -

أنا أعيش بالإسكندرية منذ سنوات،متى نتقابل؟-

تسعد أمل بسرعة الأحداث وتقول.

وقتما تريدين. -

سوسن بلهفة:

غدًا؟ -

جميل، أعمل رسامةً في أتيليه هدى سامي.-

أعرف مكانه، غدًا سأكون عندكِ في تمام الساعة الثانية عشرة.-

في انتظاركِ سيدتي. -

تفكر أمل قبل نومها: لن أُبلِّغ أميرة ورامي بهذا اللقاء إلّا بعده، كثيرٌ عليهم أن يظَلُّوا ليلةً كاملةً في قلقٍ وانتظار.

في تمام الثانية عشرة، تدخل سوسن غرفة أمل محيية:

مساء الخير. -

أهلًا أستاذة سوسن تفضلي، هل تشربين معي القهوة؟ -

جميل.. قهوتي سادة. -

هكذا نحن متوافقتان منذ البداية، اتنين قهوة سادة -

تصمت سوسن لدقائق ، ثم تسأل بلهفة:

هل أولادي بخير يا ابنتي؟ تسمحي لي أن أقول لك يا بنتي؟ -

أمل بامتنان:

يشرفني ولكن هذا سيجعلك أكبر من عمرك الحقيقي. -

انتِ بالفعل صغيرة، أنتِ عرفتِ أميرة ورامي؟ هل معكِ صورا لهما؟ -

تفتح أمل الموبايل على صورهما، فتنظر سوسن إلى صور ولديها باكيةً وتقول:

ماذا قالا لكِ عني؟ أنا أنا ! -

أمل:

قالا لي عنكِ كل الخير، وهما مَن طالباني بالبحث عنكِ، علمًا بأن أميرة تعرَّفت على صفحتكِ على الفيس بوك، ولكنها خافت أن تبدأ بالكلام في بعض أمورٍ في الماضي، وفي كلام كانا يعتقدانه عنكِ، ولكنني قلت لهما أن يتناسيا تمامًا الماضي، ويستمعا لكِ فمن الظلم السماع لطرفٍ واحد. -

تقول سوسن بأسى:

أنا سُجنتُ في قضيةٍ سياسيةٍ ولم أُسجَن لسرقةٍ أو قتلٍ وغيرهما. -

قصة حياتك المشرِّفة وصلت لهما، وقرآها الأيام الماضية، وهم سعداءٌ ويتمنيان لقاءكِ. -

كيف؟! -

عليكِ بالسفر إلى قَطَر، وهناك قابلي والدهما. -

لا. -

لِمَ لا؟! الرجل الشاب الذي تركتكِ منذ سنواتٍ، وخاف على ولديه، غير الرجل الذي عاش لابنيه سنواتٍ يُربِّي فيهما. -

تلتمسين له العذر؟ -

ولِمَ لا؟! ربما إن التمستِ له العذر تقابلينه وتخرجين بنتيجةٍ إيجابيةٍ لتتواصلي مع ابنيك. -

وإن رفض؟ -

هما في عمرٍ لا يستطيع أن يرفض أبوهما ذلك، ولكننا سنطرق على الباب أولًا، وأنتِ محاميةٌ وحقوقيةٌ وتعلمين أكثر كثيرًا مما أعلم. -

كنتُ أعلم منذ زمنٍ أنهم في قَطَر، ولكنني كنتُ أخاف..كنتُ أخاف أن يكون سمَّم أفكار ابنيّ عني. -

وهما كانا يخافان أنكِ لفظتِهما وكانا يخافان أباهما، ولكن هي الأسباب. -

سوسن بلهفة:

أميرة تحب الرسم؟ -

للغاية، ورامي سيكون حقوقيًا مناضلًا عاشقًا لمصر قبل أن يراها. -

أميرة تشبه أمي رحمها الله كثيرًا. -

وتشبهكِ سيدتي. -

إذَن أسافر في أقرب وقت. -

وأنا لن أرسل لأميرة أي شيءٍ حتى تذهبي بنفسك، سأقول لها أنني لم أتصل بكِ بعدُ لانشغالي بابني. -

ترد سوسن بامتنان وسعادة:

أظن هذا جميلًا، كيف ظهرتِ في حياتنا هكذا يا أمل؟ -

تنظر لها أمل باسمة وتقول دومًا أحببتُ الدعاء بـ : *اللهم اجعلني دومًا سببًا لسعادة الناس*

سوسن: وكان لكِ ما تطلبين.

الحمد لله.. طمئنيني عنكم خطوةً بخطوة. -

قامت أمل لتوصيل سوسن إلى الخارج

عَلا صراخٌ في الخارج فبُهتَتْ أمل، وإذا بالرجل المُسمَّى عزيز يصرخ في نهال مهددًا إياها،

تنظر له سوسن قائلةً: عزيز علي، كم هي صغيرةٌ الدنيا! ما الذي أتى بك إلى هنا؟! هل لا زلتَ تحاول أن تشتري الدنيا والناس بمالك؟

عزيز مبهوتًا:

أستاذة سوسن؟-

نعم، وأظن أنني محتاجةٌ للعودة إلى غرفة مكتبك وحدي يا أمل يا ابنتي مع عزيز، لنرى ما الذي أتى به إلى هنا. -

بعد خروج عزيز من الأتيليه، قالت أمل لسوسن:

عجيبٌ أمر هذه الحياة! هذا الرجل كان شرسًا وفي دقائق صار قطًا.-

سوسن ضاحكةً: نعم *قطًا* أمام البعض فقط.

لا أفهم. -

هو دعاؤكِ يا ابنتي، تقضين حاجات الناس وتسعدينهم، فيرد الله لكِ عملكِ بناسٍ يكونون سندًا لكِ، هذا الرجل شر رجال الأرض، وأنا محامية زوجته الأولى، وأعلم عنه ما جعله قطًا اليوم، وسينسى تمامًا أنه أتى إليكم قاصدًا شرًا، وسيرضى بكل ما وضعته له من شروطٍ حتى يتم العمل من خلال مكتبك. -

أمل براحة:

لا أدري كيف أشكركِ؟! -

أنا مَن يجب أن أشكركِ، والآن عديني أن تحكي لي خطوةً بخطوةٍ، إن تسبب لكِ هذا الرجل في أي شيء. -

لا تقلقي، فأنا أعمل من المنزل وأتيتُ اليوم فقط كي أقابلكِ، ولا آتي هنا كثيرا. -

هذا أحسن لكِ حتى ينتهي أمره، هو فقط رجلٌ تعلم أن يأمر ليطاع وأنت أزعجتِه، ولكن هذا جيد -

فأمثاله لا بد وأن يأتي يومٌ ليواجه كلمة لا.

أمل: الحمد لله..

***

أمل ومُنى

أثناء زيارة مُنى لأمل، يومض في بال أمل ذكرى فتشعر بها أختها فتسألها:

خيرًا يا حبيبتي ماذا حدث؟-

أمل:

أريدكِ أن تتذكري معي شيئًا ما، هل كنتُ أمتلك مظلةً شفافةً بحواشي حمراء وبوتًا للأمطار أحمر اللون؟-

مُنى ضاحكةً: يا الله، ذاكرتكِ ذاكرة قردة، نعم جلب لنا خالكِ سعيد من ألمانيا مظلتَين وبوتَين

أنتِ باللون الأحمر وأنا باللون الأخضر.

كم كان عمرنا؟ وهل كنتُ ذات شعرٍ قصيرٍ مثل الصبيان؟ -

نعم، وحدث لكِ شيء ضحكنا عليه لأسابيع. -

ترد أمل سريعًا:

نعم نزلت كعادتي حُبًا في المطر بحجة شراء أشياء مكتبيةٍ للمدرسة، وفي الطريق طلب مِني طفلٌ في مثل عمري النزول معي تحت المظلة معتقدًا أنني ولدٌ مثله. -

مُنى ضاحكةً:

صحيح، وخجلتِ أنتِ ولكنكِ نفذتِ رجاءه، وعندما اقترب منكِ علم أنكِ فتاةٌ فخجل هو الآخر، وظل هذا الفتى لعدة أسابيع فتى أحلامك. -

ضربتها أمل بوسادةٍ صغيرةٍ ضاحكةً وقالت:

وهل كنتُ أُغلقُ المظلة لأتنسم رائحة وزخات المطر فأمرض دومًا؟ -

نعم يا حبيبتي المجنونة، وفي كل مرةٍ كنتِ تعودين مبتلةً ترتعدين، فتشد أمي شعرها في انتظار دور بردٍ يصيبكِ، فتغيبين عن المدرسة لأسبوعَين كاملَين، وأظل أنا أذهب للمدرسة ناقمةً عليكِ أحسد غيابكِ. -

تتضاحك منى قائلة:

يا الله يا أمل تعود إليكِ الذاكرة قليلًا قليلًا يا حبيبتي، ولكن احترسي كي لا تعودي كما كنتِ طفلةً أو مراهقةً، فمراهَقتك كانت وبالًا علينا. -

تتضاحك الأختان وتقول أمل:

لا تُذكِّريني، ولننتظر ونرى.

***

أمل وعُلا

في بيت عُلا تجلس إلى أمل قائلة بقلق :

أمل أريدكِ في شيءٍ مهم. -

عيوني لكِ يا عُلا. -

سلمت عيونك.. منذ عامٍ عاد إلى الجامعة دكتورٌ كان يدرس في الخارج، ومنذ عودته وهو يلاحقني - ملاحقة النحلة للورود ولا يكف عن الززن.

هههههههههههههههه وردةٌ إنجليزيةٌ أصيلةٌ تتحدث. -

عُلا سعيدة:

أمل تذكرتِ لقبي، ولكن أين كلمة مطلقة؟ -

لا أهتم بها كما تعلمين. -

هو إنسانٌ ممتازٌ وأثبتَ كثيرًا أنه كفءٌ، وذو أخلاق ممتازةٍ ويحبه الكثيرون. -

ونحلةٌ دؤوب. -

نعم أكاد أن أضربه أحيانًا. -

تضحك أمل مداعبة:

ضرب الحبيب زبيبٌ. -

قليلٌ من الجدية يا أمل أنا خائفة. -

مِمَّ تخافين؟ أَوَليس معكِ الله؟ ابتهلي إليه أن يكون مكافأةً لكِ لا ابتلاءً، واسأليه العون ولا تتعجلي. -

هل يعلم شيئًا عن ميراثك؟

لا أحد يعلم عنه شيئًا سوانا. -

هذا أحسن حاليًا، فلتطمئنّي يا عُلا ليس كل الرجال طليقك، كما أنكِ اليوم لستِ بعُلا التي كنتِها منذ سنوات. -

ترد عُلا باطمئنان:

هذا صحيحٌ ولكنني خائفةٌ أن أكون أريده من أجل أن أبيض العصافير التي تريدهما أمي فقط. -

هو سببٌ من الأسباب، وأيضًا أنتِ تريدين الاستقرار مع رجلٍ يصونكِ، وتكونين له نِعمَ السكن. -

وأيضًا أريد أن يطمئنَّ بال أمي عليّ. -

هذا ليس بسببٍ يجعلنا نتزوج، وعلى فكرة.. أنتِ تلدين لا تبيضين. -

يا خسارة تعليمي لكِ**

تتضاحك الفتاتان فتدخل عليهما فيكي قائلةً:

مين عايز ياكل معايا فلافل سخنة بسمسم(طعمية)؟-

أمل: فلافل من ورودٍ إنجليزية؟! يا للهول !!

***

أمل في المرسم

تجلس أمل تحاول أن ترسم عيناتٍ للوحات الرجل المُسمَّى عزيز وهي تشعر بالحنق، وتشعر أنها سترسم له لوحاتٍ لا تليق بسمعتها الفنية، تفتح برنامج اليوتيوب على صوت موج البحر لتسترخي،

وتبدأ في العمل عليها أن تقوم به من أجل هدى وسوسن وليس عزيزا، ستتخيل أنها ستقوم بالرسم لأي إنسانٍ عدا هذا الرجل، هو أطلق يدها في اختيار ما تريد، وستقوم بالرسومات لأنها تحب عملها

وسينتهي أمره بمجرد الانتهاء من الرسم.

قضت أمل ساعات الصباح تعمل، وإلى جوارها ينام ياسين ويستيقظ، حتى انتهت من الرسومات المبدئية، واتصلت بنهال طالبةً منها إرسال أحد الموظفين لاستلام الرسومات، وعرضها على عزيز.

أبلغتها نهال إنها بالقرب منها وستأتي لاستلامهم وشرب القهوة معها، فلديها خبر سعيد.

تأتي نهال تحتضن أمل قائلةً:

قولي لي مبارك يا أمل، جاءني عريس. -

ترد أمل بسعادة بعد احتضانها:

غير صاحب القطط الأبيض والأسود والألوان؟ -

تنظر إليها نهال قائلةً:

يا الله كيف تتذكرين هذا، وأنتِ كنتِ في الغيبوبة؟ -

هل كنتُ في الغيبوية حينما ذكرتِ لي هذا؟ لم أعُد أفهم شيئًا يا نهال، كيف استطعتُ هذا؟ -

ترد نهال متعجبة معها:

يوم حكيتُ لكِ.. قَسَمًا بربي كنتُ أشعر بكِ تستمعين لي، وكنتُ أضحك وأبكي، ونظر لي زوجكِ كما لو كنتُ جننتُ، وقلتُ له أشعر بها تضحك وتبكي معي، هل فكرتِ يا أمل باللجوء لطبيبٍ نفسي؟ -

تحدثتُ مع الدكتور ياسين صديق مراد، وقال لي لا حاجة لذلك، كل ما نحتاجه قليلٌ من الصبر. -

الحمد لله لديك الكتير منه، ولو احتجت سأقرضك قليلا منه، أولا يكفيك صبري على سيدة القطط؟! -

تتضاحك أمل ونهال وتجلس لتقص عليها تفاصيل العريس وهما تشربان القهوة.

***

أمل وسوسن

في اتصال هاتفي صدح صوت سوسن:

قابلتُ والد أميرة ورامي يا أمل. -

فردت أمل مستبشرة بصوتها:

وماذا كان شعورك حينما قابلتِه؟ -

في البداية كنتُ أشعر بكراهيتي له بسبب حرماني من أبنائي، ولكنني اكتشفت أن مَن حرمني مِن أبنائي - هو شخصٌ آخر غير الرجل الوقور الذي يجلس أمامي.

هذا صحيحٌ إذ مر أكثر من خمسة عشر عامًا، وهي سنواتٌ كفيلةٌ بتغيير فكرٍ وقلب. -

هذا حقيقيٌ يا ابنتي الحكيمة، تحادثنا واتفق معي على أن يُعِدَّ للأولاد مفاجأةً على الغداء في الغد وسأكون - عندهم.

أمل: لا أعرف أن أطلق زرغودة ولكنني سأحاول، لولوللييييي.

الله يسعدك يا ابنتي ويكتب لك الخير كله،لا أدري ماذا كنت سأفعل بدونك. -

ألم نقل هي أسباب؟ كان الله سيضع في طريقكم سواي. -

صحيح ولكنني سأظل أدعو الله لك ما حييت. -

وهذه نعمة تكفيني، ليتني كنت معكم أسمع وأرى.-

سوسن: مؤكد أنتِ معنا بقلبك، ولا تخافي سوف أحكي لك التفاصيل، ما بقي من عمري إن شاء الله حتى تملين .

***

أمل وأميرة

ترسل أميرة لأمل رسالة على الفيس بوك.

أميرة: طنط أمل، لا لن أقول طنط ثانية، فأنت بالكاد أخت لي، حقالا أدري ماذا أكتب لك، لا يوجد كلام يفيك حقك وما فعلته معي ومع أسرتي.

أحبك أحبك .. وسأظل ما حييت فخورة أن لي أختا مثلك، أتمنى إن شاء الله أن أراك حينما أصل للإسكندرية قريبا، أريد أن تكوني أنت أول من أراه، ولا تنسي أنني أصبحت خالة لسما وسنا وياسين وأريد أن أراهم وأسعد بصحبتهم.

أنا ورامي قضينا عدة ساعات جميلة مع أمي، ضحك ودمعات وحزن وأسى وذكريات، ولكننا قررنا نسيان الماضي والتفكير في حاضرنا الحلو، أما والدي أشعر به نادما على ما بدر منه في حقنا، ولكننا لا نحمل له أي مشاعر غضب، هل تعتقدين يا أمل أنه بالإمكان عودته لأمي ثانية؟

لا أدري أن أستبق الأحداث أو أن أطمع في المزيد من السعادة ولكنني أقول: يا رب.

أراك بخير يا وجه الخير كما تقول أمي عنك وهي محقة.

***

أمل ومراد

في إحدى الأمسيات تباغت أمل مراد قائلة:

مراد أريد أن أتحدث معك قليلا. -

مراد: خيرًا.

هل تتذكر لوحتي التي قلت لي أنها تشبه عُلا كثيرًا؟ -

نعم لماذا؟ -

ما رأيك في عُلا؟ -

ما رأيي بأي خصوص؟ -

عُلا إنسانةٌ طيبةٌ وجميلةٌ، وهي جارتك منذ زمنٍ طويل. -

لم تكُن والدتها تسمح لها بالاختلاط مع أحد، وكانتا دومًا في عزلةٍ لم يخرجهما منها سواكِ. -

ما رأيك في الزواج منها؟ -

مراد مبهوتا:

مَن؟ أنا؟ أتزوج بمَن؟ -

بعُلا. -

مراد غاضبًا:

هل أنتِ مريضة؟ ما الذي تتحدثين عنه؟ -

أنا أحبها وأريد أن تعيش سعيدةً وأن يعوضها الله بزوجٍ طيبٍ وأبناء. -

أنا لا أفهمكِ، هل هذه مزحة؟ -

بل رجاء. -

أمل أرجو أن تتوقفي عن هذا، فكِّري فيما تقولين وانتظري، فبعودة ذاكرتكِ ستندمين على كل هذا. -

لن أندم؛ فعقلي وقلبي كما هما لم تؤثِّر فيهما الذاكرة. -

أنا لا أريد النقاش في هذا الموضوع. -

أمل بيأس:

عِدني أن تفكر.-

مراد منزعجًا مما تأول إليه الأحداث:

تصبحين على خير.-

***

مراد ونغم

على الهاتف تصرخ نغم متفاجئة:

عُلا!! -

مراد: نعم.

وما الذي يجعل أمل تفكر في هذا؟ -

هي تحبها وتتمنى لها الزواج والإنجاب. -

فتزوجها بك؟ هذا عجيب. -

أنا لا أعرف فيمَ تفكر، ولكن أمل عاطفيةٌ تفكر بقلبها تجاه كل من تحبهم. -

لا أدري يا مراد.. حقًا لا أدري، أنا أصبحتُ قلقةً ولا أنام، ولا أدري هل ما نحن عليه خطأٌ أم لا؟ -

يرد مراد بيقين:

لماذا نحن على خطأ؟ لقد حلَّل لنا الله الزواج من فوق سبع سماوات، فمن نحن كي نحرِّمه؟ -

لا أريد لنا حياةً على حساب بيتك. -

لا تخافي شيئًا يا نغم، لن تضيعي من يدي مرةً ثانية. -

نترد نغم حزينة:

ولا أنا أريد أن أُحرَم منك ما بقي من عمري. -

إذَن اطمئني.. وهيا اقرئي عليَّ إحدى خواطري بصوتكِ، كي أسمعها وأنام. -

حنينٌ إليك عبر الأماكن

عندما يأخذني الحنين إليك
ولا أستطيع أن أراك
أذهب إلى إحدى الأماكن
التي ذهبنا إليها سويًا
أجلس في نفس المقعد وأغمض عينَيّ
أغمض عينَيّ
فأراك أمامي أشتم رائحة عطرك الخفيفة

أطرب بسماع نبرات صوتك
فيذوب قلبي كما الشمعة التي تذوب أمامي
أخاف أن أطلب لنا ما اعتدنا عليه سويًا
فتتهمني نظرات النادل بالجنون
ولكنك معي هنا تشاركني
قهوتي ودمعتي وضحكاتي
أغمض عينَيَّ أكثر
فأجدني معك في رحلة قطارٍ
أشعر باهتزازات عجلاته
وأرى الزرع والطيور من نوافذه
وأتذكر أحاديثنا التي لا تنتهي
طوال سويعات السفر
أغمض عينَيَّ أكثر وأكثر
فأستمع لمغنٍّ وهو يشدو بـ
الأماكن كلها مشتاقة لك
فتنهمر الدموع من عيوني التي تسألني:
الأماكن كلها مشتاقةٌ إليه؟
وماذا عن اشتياقي أنا؟؟؟؟

تصبح على خيرٍ يا أغلى مراد.-

مراد: تصبحين على كل خير.

***

أمل ونغم

في دار الحضانة تجلس أمل مع نغم متحدثتين عن الدار فتقول نغم بعدما أطلعتها على كافة الأخبار:

- هذا مجمل ما حدث بالدار في الشهر الماضي، ولكنني أود لو تستطيعين القدوم أكثر، فالدار في حاجةٍ إلى عدة قرارتٍ وأوراقٍ تحتاج إلى توقيعاتك.

أمل: مراد لديه توكيلٌ مني في شؤون الدار.. باستطاعتكِ محادثته في أي وقتٍ، كي يأتي ويقوم بما تحتاجينه، فأنا مشغولةٌ للغاية في الأتيليه هذه الأيام، إذ لدينا تصميماتٌ لا بد من تسليمها قريبًا، وصاحبة الأتيليه مريضةٌ وأنا أقوم عنها بكل مهامها..

- ألف سلامة، ما بها؟

- مع الأسف هي مريضةٌ للغاية ولا أولاد لها، وأنا أعتبرها أمي ولكنني لا أستطيع مرافقتها في المستشفى بسبب الأولاد.

- ومَن يعتني بها؟

- فقط الممرضات، وهذا يشقيني ويجعلني أشعر بالذنب.

- بإمكانكِ المبيت عندها و لو لعدة أيامٍ، أو أنا بإمكاني المبيت معها كل ليلة، فأنا لا زوج لديَّ ولا أبناء.

أمل سعيدة:

- ما أجمل هذه الفكرة! وبإمكانكِ القراءة لها فهي عاشقةٌ للقراءة.

- جميل.. هل نذهب إليها الآن؟

- هيا بنا، وسأمر على بيتها لأجلب لها بعض الأشياء التي طلبَتْها مني، أشكركِ يا نغم.. هل لي أن أسألكِ سؤالًا؟

- بالطبع

- أنا أحيانًا أتذكر أشياء وأحداثًا جرت لي وأنا في الغيبوبة، والطبيب يقول إنه شيءٌ طبيعيٌّ، ولكنني أصبحت لا أدري كيف هي طبيعية؟ ولكن من ضمن الأشياء التي تومض في عقلي صورةٌ لكِ ترتدين ثيابًا خضراء اللون، وتقفين إلى جوار سريري.. فهل فعلًا أتيتِ؟

تنظر نغم إلى أمل مبغوتةً وتقول:

- نعم، عندما علمتُ قمتُ بزيارتكِ أنتِ ومراد، فكما تعلمين مراد كان جاري وصديقي وزميلي، وأتيتُ إليكم فور سماعي للخبر.

أمل بهدوء:

أنتِ جميلة الروح حقًا.. هيا بنا لنذهب.-

***

مراد وياسين

يحادث مراد ياسين عن حالة أمل، فيقول له ياسين:

ياسين: أنا لا أستطيع أن أفتي في هذه الأمور، خاصةً خروج الروح من الجسد، ولكن كل ما أستطيع قوله إن العقل البشري معقد يبهرنا بأشياء عجيبة فيما يتعلق بالغائبين عن الوعي.

منذ عدة أيام كنت أخدر حالة ولادة قيصرية، خدرتُ الحالة، فإذا بالممرضة تقول لي أنها تضع قدمها اليمنى على اليسرى، وكانت تحاول أن ترفعها، فقلت لها أن تنتظر، والتفتُّ إلى الحالة أحادثها وكانت في أولى مراحل التخدير.. أخذت أطلب منها التركيز، وأمرتها أن تأمر قدمها اليمنى بالعودة إلى جوار اليسرى،أخذتُ أحادثها بهدوءٍ أحفز عقلها كي ينفذ، وبالفعل نفَّذَت وبدأنا الجراحة وعند إفاقتها تعمدتُ أن أسألها إن كانت تتذكر، فقالت: اعتقدتُ أنني أحلم.

مراد: ولكن أمل تتذكر أشياءً وكلامًا ووجوه مَن زاروها، وهي كانت أمامنا مغمضة..

قل الروح من أمر ربي. -

مراد يائسًا من الوصول إلى حل هذه المشكلة:

وماذا يعني هذا؟ -

هو كلام الله تعالى، فهل فكرتُ أنا أو أنت يومًا أن المُلقى على السرير هو الجسد، فأين تكون الروح وقت التخدير أو الغيبوبة؟ -

حيرني هذا الأمر طويلًا.. وسألُت العديد من المرضى وقت إفاقتهم بما يشعرون فأجاب بعضهم: *نشعر بأننا كنَّا بعيدًا عن أجسادنا، كما لو كنَّا بين يدي الله، نشاهد بعض ما يحدث لأجسادنا، ثم نشعر بتخبطٍ شديدٍ وأضواءٍ تأتينا من بعيدٍ نتتبعها، وعندما نصل إليها نفيق..

سبحان الله تعالى، أتمنى أن تعود الذاكرة قريبًا لأمل فنحن نعيش حالةً من الانتظار.. -

أظن أنها تقترب من ذلك، فتذكُّرها لأشياء كثيرة أصبح مستمرًا ويزيد يومًا بعد يوم.. -

***

أمل ومراد

كعادة أمل في الأيام الماضية تجلس صامتة ثم تطلق قنبلة ما:

مراد..خُطبَتْ عُلا. -

مراد مازحًا:

خطبتِها لمَن؟هل قمتِ بخطبتها لي؟ -

أمل ضاحكةً:

لا يا مراد، خُطبَتْ عُلا لدكتور زميلها في الجامعة، وهي سعيدةٌ به، وفيكي تطير من السعادة. -

وأنا سعيدٌ وأتمنى لها كل الخير.. -

مراد.. -

نعم.. -

أمل: قلب الرجل عدة غرفٍ يستطيع أن يضع امرأةً في كل غرفة.

مراد: نعم ومن أجل هذا حلل الله التعدد، ولكن ليس كما تظنين يا أمل، فالتعدد يكون لحالاتٍ كثيرة: لتربية أيتام، لتزويج بناتٍ فاتهن سن الزواج، لزيادة عدد الإناث على البنين، لستر أرملة..

ترد أمل مختبرة إياه:

وأيضًا للحب. -

فيجيبها مراد بهدوء:

بشرط العدل. -

أَحَبَّ نبينا - صلى الله عليه وسلم – خديجة، وبعد موتها تزوج بالأرملة والثيِّب والمطلَّقة والبِكر، وكان له - ماريا القبطية مِلك يمين، وهي الوحيدة التي أنجبت له الولد بعد خديجة، رضي الله عنهن وأرضاهن..

الرسول كان يتزوج لأوامر ربانية، ولا تنسي قصة زيدٍ وزوجته..والله تعالى يعلم أن الرجل زُيِّن له حب - الشهوات من النساء والبنين وما إلى ذلك.

هي زيجاتٌ تمَّت ليقتدي بها الرجال.. ولكننا نرى الآن بعض الرجال يتزوجون سرًا بنساءٍ، فلِمَ هذا برأيك؟ -

مراد شاعرًا باقتراب العاصفة:

لأنه تمت تربيتنا على هذا، تم إقناع الفتيات أن التعدد موضةٌ قديمةٌ، وقد تغفر الزوجة لزوجها أن يرتكب فاحشةً مع امرأةٍ، ولكن لا يأتيها بزوجةٍ ثانية. -

وهل نحن برأيك كنساءٍ نقوم بتحريم ما شرعه الله تعالى وحلَّله؟ -

هو وسعٌ يا أمل، ومن أجل هذا حلل الله الطلاق قائلًا: إن يتفرقا يغنِ كلًا من سعته.. -

ولكن هل برأيك إن مثلًا أنت تزوجتَ بامرأةٍ مثل عُلا لسببٍ مثلًا أنها مطلَّقةٌ تريد زوجًا وهي حلوةٌ وشابةٌ مثقفةٌ وما إلى ذلك فهل كنتُ أنا طلبتُ الطلاق؟ -

الغيرة أمرٌ طبيعيٌّ.. ولكن فكري معي في المستقبل؛ تزوجَتْ سما وبقيت سنا بلا زواجٍ، وأتاها رجلٌ متزوجٌ يريد الزواج بها، ستوافقين عليه.. نعم أم لا؟ -

أمل بيأس:

أعتقد نعم. -

إذَن أنتِ حللتِ لابنتكِ ما تحرمينه على زوجك.. -

صحيح، هل تعلم؟ لقد كان هناك حوارٌ منذ فترةٍ على أحد المنتديات، وطبعًا قامت الدنيا على المرأة التي تحدثَتْ عن التعدد، منهم من اتهمها بالجنون، ومنهم من اتهمها أنها مطلَّقةٌ تبحث عن زوج، فقالت لهم بل أنا زوجةٌ أطلب من زوجي أن يتزوج ولا يزني.. بُهتَ الجميع صامتين، فقالت: -أنا أريد أن أدخل الجنة معه..

فقالت أُخرى: هو وسعٌ يختلف من امرأةٍ لأُخرى.

وقالت واحدة: هي ثقافةٌ أبعدَتْنا عن ديننا..

وقالت واحدةٌ أتذكرها حتى اليوم: أنا زوَّجتُ زوجي بأرملةٍ شابةٍ جميلةٍ، لديها بناتٌ هجرَتْها جميع الصديقات خوفًا من أن تخطف أزواجهن، فزوَّجتُها زوجي ونقوم بتربية البنات معًا وأصبحنا صديقتين، وأنجبتُ لزوجي طفلةً فأصبحتُ أمًا بعد سنواتٍ عشتُها عاقرًا.

مراد: يا لها من امرأةٍ قوية.

أمل: بالفعل، ولكنها كانت لا تنجب فأهداها الله بنات هذه المرأة ثم ابنةً من زوجها اعتبرَتْهن بناتٍ لها

كما يقول المثل: اللي يعيش ياما يشوف. -

يرن موبايل أمل فتقول لمراد:

إنها نغم من المستشفى.. -

***

أمل وهدى ونغم ومُنى

في غرفة هدى بالمشفى تجلس أربع من النساء متحدثات، وتسأل أمل هدى قائلة:

ألا تشعرين بتحسنٍ فتعودي إلى المنزل؟-

فتجيبها بحزن:

لا أريد العودة وحيدةً إلى منزلي يا أمل. -

فتجيبها نغم- التي أمضت معها أياما كثيرة في المشفى- قائلة:

إذَن عودي معي إلى منزلي فأنا أعيش وحيدةً، وهكذا تكون أمل قريبةٌ منكِ فنحن جيران.. -

ترد هدى ممتنة:

شكرًا لكِ يا نغم، ولكنني أشعر بدُنو الأجل.. -

توقفت عن الكلام قليلًا كي تستعيد أنفاسها، ثم نظرت إلى أمل ومنى وقالت:

لقد رأيتُ أمكما في المنام تطرز ثيابًا بيضاء، وجعلتني أرتديها لأرى هل تلائمني أم لا؟! وقالت لي أنها تحتاج لتعديلٍ بسيطٍ وقريبًا سترسلها لي. هو الكفن يا بنات. -

تبكي السيدات..وترد أمل قائلةً:

أرجوكِ لا تتفوهي بهذه الكلمات.. أرجوكِ اصمدي. -

هدى: أنا لا أقول لكِ هذا لأخيفكِ أو لتبكي.. عليكم أن تكونوا سعداء، أوحشتني رفقة أمكما.

أمل لقد كتبتُ وصيتي منذ زمنٍ طويلٍ، ولكنني أضفتُ فيها بعض أسماء الذين أتوا إلى حياتي في السنوات الماضية، والموظفين وما إلى ذلك..أوصيكم بقراءتها فور موتي.

تنظر إليهن نغم بصمتٍ واحترامٍ باكيةً هي الأُخرى امرأةً اعتبرَتْها في الأيام الماضية كأمٍ ثانية لها.

***

أمل ونـهال

تحادث نهال أمل هاتفيا قائلة:

- مرت أسابيع على وفاة مدام هدى والعمل في الأتيليه يحتاج لك، مُنى تأتي كل يوم، ولكن مُنى تعمل في الإدارة والمحاسبة وتدير أعمالها الفنية، أما أنتِ فعليكِ حمل كبير ولابد أن تعودي.

أمل: أشعر بأنني ضعيفةٌ للغاية يا نهال، موت طنط هدى أوجعني جدا، أنا كنت قريبة منها طوال عمري وكنت أعتبرها أمي.

- وأنتما كنتما قرة عينها ولكنها كانت تكره الحزن وكانت تقول: *الموت مرحلة وكلنا سنموت*.

تجيبها أمل باكية:

- هل رأيت كم كانت جميلة حتى في موتها؟ لقد قرأت معنا وصيتها، لم تنس أحدا حتى جيرانها، حتى البواب، حتى نغم التي لم تعرفها سوى منذ عدة أسابيع..

- حتى أنا رغم أنها ساعدتني كثيرا في جهاز عرسي، إلّا إنها تركت لي هدية زواج كبيرة عما أستحق.

أمل: أنتِ تستحقين كل خير.

نهال: وأنتِ عليك القيام لعملك ومسؤوليتك التي ألقتها طنط هدى على كتفك.

أمل: يا رب قدَّرنا.

***

مراد وحسين

عاد حسين في إجازةٍ إلى مصر- وبعد ساعاتٍ من وصوله، وسلامه على والدَيه، لم يطِق الانتظار ليلةً واحدةً في بيته بدون أن يرى مراد - صديق عمره - فذهب إلى مكتبه ليواسيه في ظروفه المحزنة..

جلس مراد يحكي لصديقه كل ما مر به في الأسابيع الماضية، فأخذ حسين تارةً يهز رأسه حزنًا، وتارةً أخرى يواسي صديقه، حتى وصلت القصة إلى معاناة مراد وتمزقه بين قصة حبه القديمة لنغم وحياته الحالية مع أمل..

صمت حسين لحظةً ثم انفجر ضاحكًا بصوتٍ مدوٍّ وقال:

إيه يا عم جو أفلام فريد الأطرش داه؟ هو فيه واحد عاقل في الدنيا يعمل العملة السودة دي مرتين؟؟؟** -

مراد مازحًا:

لازلت كما أنت لا تعرف جد الحديث من هزله.-

والله أنا لا أتكلم سوى الجد الآن، دعني يا بني خليني أحكي لك عن الحرية التي أعيشها منذ طلاقي فأنا .. -

يقاطعه مراد:

طلقت علياء؟ والحب واللوحة التي رسمتها أمل في عشكم؟! وإقناعك بضرورة الوقوع في الحب والزواج - بعد قصتي مع نغم؟!

حسين مقاطِّعا:

وجدت أن هذا كله لا يساوي شيئا، سئمنا بعضنا البعض، تبادلنا الكراهية والشتائم والصراخ، كدنا أن - نضرب بعضنا بعضا أمام الأطفال، فقررنا الانفصال بالمعروف كما تزوجنا بالمعروف.

حقا لا أستطيع استيعاب كلامك، متى كان هذا؟*-

منذ عدة أشهر، ولم أقل لك حتى أكون معك في مصر. -

وأين هي الآن؟ والأولاد؟ -

تركت لهم المنزل.. واستأجرت ستوديو سكني في أوتيل، به خدمات جيدة جدا، فكما تعلم هذه الخدمات - متوفرة بصورة ممتازة في الإمارات،وأعيش منعمًا.

والأولاد؟ -

الأولاد سعداء للغاية، ونفسيتهم مرتاحة، ونقوم بتدليلهم أكثر مما سبق، طوال الأسبوع مع أمهم، وأنا - أصبحت أراهم أكثر مما كنت وأنا معهم، نقضي يوم كامل نستمتع سويا في إجازة نهاية الأسبوع.

ولم كل هذا العذاب؟ -

رد حسين حانقا:

لأن الزواج اختراع فاشل لا يليق بي، سئمت التحقيقات الفيدرالية التي تمارسها علي: إلى أين؟! أين - كنت؟! لم تأخرت؟! مع من تتحدث على الموبايل؟! لم لديك كلمة سر على موبايلك؟! لماذا لا تظهر لي قائمة أصدقائك على الفيسبوك؟! أكيد تعرف الكثيرات، *يا بويا على بتنجان الستات*

مراد ناقمًا:

أشعر أنها لم تكن تتحدث من فراغ. -

يا مراد أنا رجل أحب التغيير، لا أستطيع العيش على الطعام الحلو طوال حياتي، لابد وأن أحن إلى - الطعام المالح وهكذا.

تغيرت كثيرا يا حسين. ما السبب في هذا؟! هل نمط الحياة هناك هو ما فعل بك هذا؟!-

لا نهائيًا، لو لم أسافر وعشت في مصر كان سينتهي بي الحال لهذا.. -

مراد سائلًا:

وربك ؟! ألا تخافه؟!

أنا لا أغضب ربي، أنا أتزوج في الحلال وأطلق في الحلال، بعقد عرفي عند محامٍ، عقد محدد بعدة أشهر - برضا العروس..

زواج متعة؟! وهل هو حلال؟! -

طالما اختلف عليه المشايخ، وقال البعض حلالا والبعض حراما، إذن استفتِ قلبك. -

مراد هازئًا:

أستفتي قلبي لو أنا رجل دين وملتزم وقريب من الله، وقتها فقط الله سيفتيني. -

ومن قال لك أنا لست قريبا منه؟ -

آسف خانني اللفظ، ماأقصده أننا نأخد فتوانا من مشايخ درسوا كتاب الله وفقه الزواج وغيرهما. -

لا تعقد الأمور يا مراد، بعض المشايخ حللوا كلامي ولديك موقع جوجل ابحث بنفسك. -

وتريد أن تثبت لي أنك تعيش سعيدا؟ -

حسين ضاحكًا:

سعيد؟! فقط؟! هذه الكلمة لا تستطيع وصف حالتي التي أعيشها، عدة أشهر مع امرأة -

تايلندية، ثم روسية، عدة أسابيع مع فلبينية وهكذا، زيجات انترناشونال يا بني وليست زيجات مصرية مكررة.

اختلافنا رحمة. -

لا مانع لدي أن نختلف. ولكنني معترض على أن تكون متزوجا، وتريد تكرار نفس التجربة، كما يقولون * - بسلاطاتها ببابا غنوجها*.

نغم كانت حبي الأول، وأمل زوجتي وأم أولادي. -

ألم أقل لك.. وكأنني أشاهد فيلما لفريد؟ نغم ستكون لغما سينفجر فيك أنت وأمل، مجرد أن تخطو خطوة - واحدة، يا بني الست وخاصة الست المصرية لا تعرف كلمة تعدد..

أنا مفوض أمري لله وعَرَّفتهما على بعض، ويومًا بعد يومٍ ستتقاربان وما يريده الله سيكون. -

شهران وينتهي العسل مع نغم، ثم يبدأ المر لتشربه، وتبقى نغم نسخة مكررة للزوجة المصرية، وتبدأ - التنافس على مكانة الزوجة الأولى، فهيَّ الحبيبة الأولى كما تعرف.

ولن تسكت أمل.. ستقول لك هي الأغلى عندك *ومن لقى أحبابه بقى..يا نهار كوابيس إسود في أبيض.. لم تقوم بعمل copy andpaste في حين في إمكانك تعمل Add new version،

طالما مزاجك تعدد بقى، عدِّد انترناشيونال*.

مراد غاضبا:

أنت تعتقد أنني أريد الزواج، فقط كي يكون لي زوجتان ؟ لو لم تطلق نغم، ولم لم تعد، ما كنت فتحت بابا - أغلق منذ زمن، ولم أكن لأفكر فيه.

حسين هازئا:

كنت ستفكر عاجلا أم آجلا. -

أنت تفكر بمنطقك . -

يا بني ربنا أعلم بقلوبنا فالنساء زينة لنا، وقبل الإسلام كان كل رجل عنده بدل الزوجة عشرات وربك - وحده قنَّنها وجعلهن أربعة ومِلك يمين، وحلل للرجل أن يبدل الزوجة.

كلام ربنا يحتاج تدبر، كي تفهم أنه مع كل شرع شرعه سبحانه وتعالى، هناك حدود وواجبات وقيود وما إلى ذلك. -

أنا لم أعارض شرع ربي يا صديقي، ولكن صدَّقني العِشرة استحالت بيني وبين زوجتي، وأصبحنا الآن أصدقاء صداقة كنت أتمنى وجودها أيام زواجنا ولكن للأسف هذا لم يحدث. -

مراد: حاول مرة ثانية.

صعب لأنها صداقة من أجل أولادنا ومصلحتهم واتزانهم، وإن عدنا تعد ريما لعاداتها القديمة، -

وأنا غايتي الآن أولادي،لا أريد لهم فرحة بعودتنا، ثم صدمة ثانية بطلاق من يدري كيف سيكون وكيف ستكون مرارته بقلوبهم؟!

في هذا أنت محق، و لكل واحد منا طرق تفكير مختلفة، ولكن كل واحد يعلم ما يمر به ويدرك ما هو بصدده. -

الله غالب، أريد أن أزورك بالمنزل لرؤية البنات وياسين افندي واطمئن على فنانتنا. -

مراد باسما:

بالطبع سأنتظرك، فالبنتان ستفرحان بقدومك،لا أدري صراحة لماذا يحبانك هكذا؟ -

حسين ضاحكا:

لهما قلب أبيهما الكاتب وأمهما الفنانة، فلابد أن يحباني. -

هل زوجتك والأولاد هنا معك؟-

لا هم في الإمارات من أجل عملها ودراسة الأولاد، وليتك تركز في شيء هام هي-

My ex. :زوجتي السابقة

مراد حزينا :

سأحتاج وقتا كي اعتاد انفصالكما. -

حسين مقهقها:

ستعتاد الأمر مثلي قريبا، دعنا نعود لقضيتك. -

***

أمل ونغم

في دار الحضانة تباغت أمل نغم بقرار فجائي قائلة:

نغم، الفترة القادمة لن آتي للدار هنا كصاحبتها، ولكن فقط كمُدرِّسة للرسم، فأنا لم أعد أستطيع التفرغ - لبيتي وللأتيليه، هذا غير صفحة الرسم على الفيس بوك وصديقاتي وغيرهم.

نغم: ما شاء الله ربي يزيد ويبارك، لا تقلقي أنا متفرغة تماما للعمل هنا.

تسألها أمل بمكر:

تماما؟ -

نعم ولا أذهب سوى لوالدي وأخواتي يوم الجمعة، ولا أصدقاء لي هنا، فأنا أمضيت سنوات طوالا - بالكويت.

ولمَ أشعر أنكِ في حالة حب؟ -

نغم بوجه شاحب:

لمَ تقولين هذا؟ -

لا أدري ولكنني فنانة، وقرأت كثيرا في علم النفس، كما أنني ذات روح رومانسية أيضا.-

من يحب تجديه كمن يرفع لافتات فوق رأسه تقول: *أيها العالم، اشهد معي،لقد وقعت في الحب*.

تنظر نغم إلى أمل وتشعر بعذابات بقلبها وعقلها وتقفز من خلف مكتبها قائلةً:

اعذريني يا أمل دقائق وسأعود إليك؟ -

تخرج نغم.. فتشعر أمل بالحزن والحيرة لأنها تحاول عامدةً جعل نغم تصارحها وتحكي لها، وتسأل نفسها: متى عليَّ مواجهتهما؟

***

أمل في عيادة الأطفال

تجلس أمل في عيادة الأطفال مع أولادها لتطعيمهم.

يعمل بالعيادة طبيبان: طبيبٌ للأطفال والآخر للجراحة والقدم السكري - مرضى السكر -، يدخل إلى العيادة رجلٌ كبيرٌ في السن يمسك بعصا ويرتدي في قدمه اليسرى حذاءً للإصابات، تسانده زوجته ومعهما ابنتهما، وما إن جلسوا حتى بدأت الابنة في الصراخ تلوم عليهما أنهما سبب في تعطيلها وانتظارهما ساعة وأنها لا تدري لِمَ هما لا يباليان !!!! وتركتهما حانقةً وجلست ممسكةً بهاتفها المحمول تكتب فيه وتبتسم وتقرأ.

لم يرد الأب ولا الأم بل قال لزوجته في هدوء: نصلي العصر يا حاجَّة؟ وخلع نعلَيه للصلاة..

وأثناء صلاتهما دخلت الابنة الثانية، والتي كان من الواضح أنها كانت تصف السيارة، وعند انتهاء الأب من الصلاة بدأ يحاول ارتداء حذائه، فقفزت الابنة الثانية جالسةً على الأرض، وألبست والدها الحذاء بمنتهى الهدوء، فوضع الرجل يده على رأسها ممتنًا.

نظرت الابنة الأولى لِما يحدث ولم يبدر منها أية ردةٍ للفعل

تنظر البنتان إلى أمل وتبدأ سما في حوارٍ صريحٍ كعادتها، فتقول للرجل وزوجته:

الفتاة التي صرخت بِكُما ستدخل النار، أما الفتاة التي ألبستك حذاءك ستدخل الجنة.

يصمت الجميع وتدمع عين أمل، وتعتذر للوالدَين على صراحة ابنتها، وتخاطب الابنة الغاضبة:

أما أنتِ فلن أعتذر لكِ عمَّا بدر من طفلتي، فالصراحة في سنها ليست بعيبٍ طالما لا تتجاوز الأدب، ولكنني سأقول لكِ جملةً واحدة: ليت والدَيَّ على قيد الحياة، لكنتُ جعلتُ (خدي لهم مداس) كما يقول المثل.

تنظر أمل إلى ابنتها لتقول: نحن لا نحكم يا سما مَن يدخل الجنة ومَن يدخل النار، فهذا نتركه لله عز وجل، ولكن نحن نقول هذا تصرفٌ لا يحبه الله ويغضبه، وهذا تصرفٌ يحبه الله ويسعده.

***

أمل وياسين

تزور أمل ياسين في المشفى طلبا لمشورته.

أمل: دكتور ياسين أنا أظن إنني بحاجة لطبيب نفسي.

خيرًا يا مدام أمل لماذا؟ ألم نتفق ألّا نتعجل أمر ذاكرتك؟ -

صدِّق أو لا تصدِّق، لم أعُد أتعجلها، بل وأشعر أنني أصبحت شبه أعرف الكثير عني، ولتأتِني متى شاء الله، ولكنني أتصرف تصرفاتٍ أشعر أنها ليست من أخلاق أمل التي كنتُها وتعرفونها أنتم. -

وكيف هذا؟ وضحي لي أرجوكِ، فالأمر أبسط مما تتخيلين، ونحن لا نحتاج أطباء نفسيين ربما يصفون لكِ أدويةً قد تتعارض مع إرضاعكِ لياسين، ولا أظن أنكِ لا تعرفين أن أحيانًا بعد الولادة تُصاب بعض النساء بالاكتئاب، وأنتِ تتعرضين لضغط الذاكرة كذلك. -

نعم قرأت هذا على صفحاتٍ طبيةٍ أستعين بها دومًا. -

أتذاكرين طبا من وراء ظهري لتنافسيني فيما بعد؟ -

تبتسم أمل وتنظر إلى ياسين قائلةً:

أنا أتصرف مع بعض الناس بخبث.. ربما لعشمي أنهم سيصارحونني، فأضغط عليهم حتى يتحدثوا، أفعل هذا حزنًا لأنهم لا يصارحونني وهم أقرب الناس لي. -

أنا لا أفهم ما تتحدثين عنه، فربما أنتِ لا تريدين مصارحتي.-

هذا صحيحٌ فلا أحب كشف ستر أحدهم.-

أظن أن علينا أن نضيف الصبر لهذا الأمر ونلتمس لهم الأعذار، ولماذا لا تصارحين وتواجهين؟ -

لا أدري، ربما أحب أن تأتي منهم. -

بعضنا مختلفٌ يحب أن نذهب نحن إليهم. -

ترد أمل بعد تفكير:

ربما. -

يقول ياسين بصوته المتفائل دومًا:

هناك جملة جميلة جدا قرأتها اليوم على الإنترنت، هذه الجملة كفيلة بزرع الأمل لـعشر سنوات مستقبلا: -

وما زرع الله في قلبك رغبة الوصول لأمرٍ مُعيَّنٍ إلّا لأنه يعلم أنك ستصل إليه*.*

أمل مازحة:

عشر سنوات؟ هل تعتقد أن ذاكرتي ستعود لي بعد عشر سنوات؟-

ياسين مبتسمًا: العمر الطويل لكِ.

***

أمل ومحامي هدى

في الأتيليه يزور محامي السيدة هدى أمل ليتحدث معها في قضية تخص السيدة هدى، فتصرخ أمل:

- قضية مرفوعة ضد طنط هدى وهي ميتة ؟

- نعم قريب الأستاذة هدى قرر أنه يحق له أن يرثها، إذ أنه الوريث الوحيد المتبقي في العائلة، والذي حرمَتْه عامدةً من الميراث، ولم تترك له سوى أشياء تخص أباه (أخاها) كانت لديها في منزلها.

- وأين كان ابن الأخ هذا حينما عاشت طنط هدى وحيدةً لا أهل لها سِوانا؟! وأين كان حينما مرضَتْ مرضها الأخير؟!

- هو يتحجج بسفره الدائم، وبأنها كانت شخصيةً مهووسةً، تقوم بطرده من بيت أبيه كلما زارها.

- بيت أبيه؟! هذه عمارة جدي، وحاليًا هي لنا ولخالي، وهي عمارة إيجارٍ قديم أي أن الشقة ليست ملكًا لهم، ولقد تنازلَتْ طنط هدى عن الشقة منذ سنواتٍ لخالي، وأجزل لها العطاء وترَكَها لتعيش فيها لعِشرة العمر التي بيننا وبينها.

- كل هذا مثبوتٌ عندي في الأوراق لا تقلقي. القضية برُمَّتها لا تساوي المصاريف التي سيدفعها هذا العاق، وسأجبره على دفع مصاريفها كافة بعدما يخسرها.

- أنا لا أعترض على دفع بعض المال له.

- لا لن يحدث هذا، فلديَّ ما يثبت أنها أجزلت له العطاء طوال السنوات الماضية، ولن يضع يدًا على قرش طالما أنا على قيد الحياة بعد ما فعله بها منذ عامَين.

- ماذا فعل؟ لم تذكُر لي طنط هدى شيئًا عن هذا.

- لقد تعرض لها بالضرب وكسَرَ يدها، بعدما رفضت أن تدعمه بالمال بعدما قام بتطليق زوجته أم أبنائه، هي لم تحكِ لكِ أو لغيركِ وقالت أنها وقعت كاسرةً ذراعها.

- يا حبيبتي يا طنط هدى.

- حتى يومنا هذا السيدة هدى تنفق على زوجته وأبنائه بدون علمه، وتركَتْ لهم مبلغًا من المال يكفيهم لسنواتٍ قادمةٍ، أما هذا الرجل فلا تقلقي منه، فكل هذا سينكشف أمام المحكمة قريبًا، سأتابع معكِ عبر الهاتف التطورات، وأُعْلمكِ بموعد القضية إذ أن المحكمة ستحتاج أقوالكِ أنتِ والأستاذة مُنى.

***

أمل ومراد

الدَّرَج!! مرةً أُخرى أنا أقع من على الدَّرَج، مراااااااااااااااااااد!!

يهرع مراد إلى غرفة أمل بعدما سمع صراخها:

أمل استيقظي.. أنتِ تحلمين.-

وقعْتُ من أعلى الدَّرَج يا مراد، رأسي تنزف. -

يضع مراد يده على رأسها مطمئنًا إياها:

بِاسمِ الله، أمل أنتِ في المنزل وسليمةٌ معافاة، هو كابوسٌ يا حبيبتي.. أفيقي. -

تنظر أمل إلى مراد وما حولها فتجد أنها في فراشها نائمةٌ وليست على الدَّرَج، فتستعيذ بالله من الشيطان، وتبدأ في البكاء وتصيبها رعدةٌ شديدةٌ فيجلس مراد إلى جوارها، يتلو بعض آيات القرآن، ويحتضنها حتى هدأت تمامًا وقالت:

وكأنني وقعْتُ الآن، أشعر بألمٍ في رأسي وجسدي وبطني، أين جنيني؟ -

أمل.. الجنين أصبح ياسين طفلكِ الحبيب، ها هو حمدًا لله لم يستيقظ على صراخكِ..لا تخافي، مَر على الحادث أكثر من شهرَين وأنتِ الآن بخير حال. -

والدَّرَج؟! -

يضحك مراد قائلًا:

هو أيضًا بخيرٍ يا أمل، ولم يُصَبْ سِوى في كرامته، إذ أنني أسُبُّه ليلَ نهار، كما أننا نتجاهله المسكين منذ أصلحنا المصعد. -

تبتسم أمل قائلةً:

أقصد لِمَ أحلم به في هذا الكابوس؟-

هي تراكمات الفترة الماضية وهاجس وقوعك والحادث لم يكن سهلًا يا حبيبة، حمدًا لله على سلامتكما -

سلَّمك ربي يا مراد، لِمَ كنتَ مستيقظًا؟ -

كنتُ أكتب لكِ خاطرة. -

لي أنا؟! -

نعم لكِ أنتِ. -

أسمعني إياها. -

مراد:

نداء الروح للروح

في كثيرٍ
من الأوقات
أشعر بك
رغم البعد
قريبًا كأني
أنادي روحك
فتلبي روحي..
ويزداد هذا الشعور
حينما أطعم
العصافير التي
تتوافد بكثرةٍ
عند نافذتي
أقف أشاهدهم
وهم يقتربون من
خبزي ومائي
وإذا اقتربْتُ
يخافون
ويطيرون
ثم يعودون
فأبتسم وأسأل
الله أن يردك
إلى قلبي وعشي..
و أحيانًا أجدهم
يطمئنون لي
فأناجيهم وأسامرهم
فأجد يمامةً حلوة
تنشد فيصير
هديلها طمأنة
كما لو كانت
تقول لي:
لا تحزني
غائبكِ سيعود،
لا تقلقي كما
تعانين
فهو الآخر
من لهف الهجر

متعبٌ ويعاني..
فيبتسم القلب
مطمئنًا
وأطلب منهم
أن يطيروا إلى
حيث حبيبي
فيلقون عليه
سلامًا ومحبة
ووعدًا بانتظار
وشوقٍ إلى
لقيا تُقر
بها روحانا
ويسكن
بها حنيني..

تمسك أمل يد مراد قائلة:

جميلةٌ الكلمات ولكن أنت لست بغائب. -

فيجيبها:

أنتِ مَن غبتِ عني يا أمل منذ الحادث. -

هل بدأت في كتابة مجموعة جديدة؟ -

بارعةٌ أنتِ في تغيير ضفة الحوار، نعم هي ضمن مجموعة جديدة. -

سأحب أن أقوم برسوماتها. -

أنا أيضًا سأحب هذا. -

تستجديه أمل قائلة:

أنت تعلم أني قريبةٌ منك ولكن لا زال هناك شيءٌ ما ينقصني. -

وإن لَمْ يأت؟ -

قريبًا سيأتي، قلبي يحدثني بهذا، وقلبي دومًا صدوقٌ يصدُقُني. -

مراد بحب: لنرى.

***

أمل ونغم

في الحضانة تجلس أمل ونغم تتحدثان .

أمل:

أصبحتِ تجيدين التعامل مع الأطفال بصورةٍ جميلةٍ يا نغم، كما لو كنتِ تقومين بهذا العمل منذ سنوات. -

هذا يعود لعدة أسبابٍ أهمها حبي الحقيقي لهم فأنا لا أعتبرهم حالات، وكذلك قراءتي الكثيرة في هذا المجال. -

أمل بحزن:

بعض الأطفال مشكلتهم الرئيسية كانت لفظ أمهاتهم لهم. -

هل تعلمين يا أمل؛ أن هناك أمهاتٍ في فترة الحمل يقُمن بإجهاض أجنتهن إذا ما ظَهَرَ أن الجنين غير طبيعي؟ -

مع الأسف كلامكِ صحيح، أعرف امرأةً فعلت هذا وكان أول حملٍ لها، اعتقدت أن هذا أحسن لها ولزوجها وللطفل، ومن وقتها لم تنجب أبدًا.. يا الله ها أنا أتذكر أشياء عجيبةً ولكنني لا أتذكر أبسطها: من أنا؟ -

سبحانه ربي الوهاب، لا ترهقي روحك، كل شيءٍ بأوان. -

نعم صحيح، وأعتذر عن هذا الحديث إن كان يحزنك. -

لا أبدًا فأنا من بدأته، وأنا لم أعد حزينةً أو أشعر بالمرارة لأنني عاقر، فهذا نصيبٌ والله مَن كتبه وأنا راضيةٌ والحمد لله. -

فيكِ الكثير من الخصال الجميلة يا نغم، أتمنى لكِ كل الخير، هل تسمحين لي أن أسألكِ: ألا تفكرين في الزواج ثانيةً؟ -

أحيانًا نتمنى شخصًا بعينه، ولكن يكون الارتباط به صعبا أو محالا، فنقنع بوحدتنا. -

هل تحبينه كثيرًا؟ -

نغم دامعةً:

لا أريد رجلًا سواه. -

إذَن حاربي. -

بعض الحروب نخوضها لنخسر فنعود مثخنين بالجراح. -

ترد أمل بحيرة:

إذَن انسحبي. -

بعض الانسحاب موتٌ بطيءٌ لنا. -

والبَين بَين مرهقٌ يأكل أرواحنا. -

ترد نغم بحزنٍ:

هو المتاح وعلينا بالرضا. -

ما لم تضري سواكِ. -

تسألها نغم:

وماذا يعني هذا؟ -

أقصد أنه لو هناك غيركِ يتضرر في هذه العلاقة تكونين مخطئة. -

أمل أرجوكِ.. أنا أعلم أنكِ لا تتحدثين معي من فراغٍ ، بل تقصدين بكلامك هذا توجيه رسائل تحذيرٍ تارةً وتوبيخٍ ولومٍ تارةً أُخرى. -

تشعر أمل أنه حان وقت المصارحة فتقول:

كنتُ أتمنى أن تصارحيني، أن يصارحني هو!! -

تجيبها نغم باستسلام:

لم نرضَ لكِ هذا قبل عودة ذاكرتك، كلانا ظُلم. -

وهل كوفئتُ أنا؟ وما ذنبي؟ -

وما ذنبي؟! وما ذنبه؟! من الممكن أن نُسعد أنفسنا بدون ظلمٍ لأيٍّ منا. -

بزواجكما؟ -

نعم، انظري إلى الجانب الآخر: إن لم نتزوج فسيشقى مراد حزنًا، وقد يؤثِّر هذا سلبًا على حياتكما. -

وقد يحزن قليلًا لينسى. -

ولكنه لم ينسَني قط حتى بزواجه منكِ، وسامحيني في قولي هذا؛ الحب لا يمحو حبًا. -

ترد أمل بحزن وغضب:

أنانيةٌ منكما. -

تحبينه كثيرًا يا أمل؟ -

هو روحي. -

إذَن تخيلي أنكِ لسببٍ أو لآخر حُرمتِ منه وتزوجتِ بآخر، ثم تم طلاقكِ وتقابلتِ معه، وإذا به زوج لي، ماذا أنتِ فاعلةٌ يا أمل؟ لا سِيَّما أنكِ شعرتِ أنه لا زال يحبكِ كما كان في الماضي؟ -

ولكن هذا لم يحدث. -

كلنا مُعرَّضون لحدوث هذا، وأنتِ متدينةٌ تتحدثين كثيرًا عن الأسباب، فلِمَ لا تكونين محايدةً وتضعين نفسكِ في مكاني وفي مكان مراد، فكِّري فينا نحن الثلاثة. -

أنا لم آتِ لأخذ مكانك.. ولا أستطيع أن أكون أمًا.. كل غايتي أن يكون مراد لي زوجًا وسترًا ما تبقى من عمري بدون أن أغضب الله، هل فكرتِ في هذا؟ أنه كان مِن الممكن أن أكون زوجته في الظلام مثلًا ولا تشعرين بزواجنا أبدًا؟ هذا لم يخطر لنا على بالٍ أبدًا.

***

الثلاثي

يطرق أحدهم الباب ليدخل مراد إلى الغرفة محيِّيًا وقائلًا لزوجته:

ماذا هناك يا أمل؟ تُرى ما الذي حدث وجعلكِ ترسلين لي أن آتي على الفور؟!-

تنظر أمل إليه قائلةً:

الذي يحدث هو أنني أريد لهذه القصة أن تنتهي.-

مراد مدركًا:

أية قصة؟! -

أمل مشيرةً بإصبعها:

أنا وأنت وهي، أو دعني أقول: أنت وهي وأنا، فالبداية كانت لكما، وأنا جئت مكملةً أو دخيلة. -

مراد ناظرًا إليهما سويًّا وكأنه يتساءل عن السبب فيما يحدث الآن:

ما الذي تقولينه؟ أنا أحببتكِ واخترتُكِ زوجةً لي. -

أمل ضاحكة:

نعم وكذلك اخترت نغم، وحرمَتْكما الظروف من الزواج، والآن هي حرة.-

نغم باكية:

رفقًا بنا جميعًا يا أمل. -

لا سبب للرفق أو الشدة هنا يا نغم، نحن نبحث عن حل. -

سألها مراد:

وما برأيكِ الحل؟ دعينا نسمعه. -

فأجابته أمل:

ولماذا أنا؟ هل انتهى الأمر بكما إلى الزواج؟ -

قال مراد:

نحن ثلاثة أطراف هنا، علينا أن نسعد ثلاثتنا أو نشقى. -

أمل بخيبة رجاء:

أو أن يضحِّي طرفٌ ثالث.

مراد منزعجًا مما أفضى إليه الحوار:

وماذا يعني هذا؟ -

أمل: تطلقني.

مراد ونغم في صوتٍ واحد:

مستحيل.-

أمل: ولِمَ لا؟

نغم: لن أكون سعيدةً أبدًا على حطام زواجك.

مراد: هل أصبحتِ تكرهينني من أجل حبي لنغم، ورغبتي أن تكون لي زوجةً ثانية؟

أمل :لا أنا لا أكرهك، ولا هي لن تكون زوجتك الثانية، بل أنا من سأكونها دوما.

مراد: وكيف هذا؟

أمل: على الورق سيظل دومًا مكتوبًا تاريخُ زواجي سابقًا لتاريخ زواجك بنغم، ولكن ستظل القلوب تشهد على أن تاريخكما يسبق تاريخي معك.

نغم: ستظلين أنتِ أم أبنائه وأنا سأُحرَم طوال عمري من الأبناء.

أمل: هذا جنون.

مراد: العدل مقياس التعدد وشرطه الأوحد، ونحن مثلثٌ يا أمل، كتب الله علينا هذا، والمثلث لم يكن أبدًا من ضلعين، سأكون قاعدة المثلث لكُما سويًّا وأنتما ضلعَان متساويَان دومًا.

***

الأحلام

في الصغر
حلمنا أحلامًا
وسعت الأرض
والسماء
فهذه حلمَتْ
بأنها ستكون
طبيبةً، معلمة
وهذه حلمَتْ
بأن تكون أميرة
تجذب إليها
أمير الأمراء..
وكبرنا وقال
البعض منا
ليتنا ما كبرنا
فالأحلام أكثرها
لم يتحقق
وضاعت أغلبها
هباءً في هباء..

أما أنا
فلا زلت أحلم
ولِمَ لا؟
هل الأحلام
حكرٌ فقط
على الأطفال
الأحباء..
لا زالت
الأرض تستقبل
خطواتي
أنا وحصاني بالورود
وتشرق لي الشمس
وتحتويني السماء
ويداعبني القمر
ونجماته
كل مساء..
ومن أجل
أحلامي البسيطة
وآمالي العريضة
أمتلك نوعًا
من الرضا
حتى وإن
لم تتحقق

أحلامي
فيكفيني
أنني عشتها
خيالاً بقلبي
وسَرَتْ سُكَّرًا
في الدماء..

نهى عاصم

خاتمة

ياسين ونهى

يقرأ دكتور ياسين السطور الأخيرة في كتاب *أمل حياتي* ويقول في نفسه:

فتحَتْ رضوى عاشور الصغيرة النار على نفسها *.*

ثم يرسله إلى صديقته نهى ويكتب لهاعلى الماسنجر: ،PDF يقوم بتحويله إلى ملف

سيتفق معكِ معظم الرجال، وستهاجمكِ كل النساء يا رضوى عاشور الصغيرة.-

تبتسم نهى قائلةً:

- مِن أجل هذا تركتُ النهاية مفتوحة، وفي الأول والآخر الاختيار لهم: مراد أو أمل أو نغم. لَمْ تقل لي رأيك في الرواية.

ياسين:

- استمتعتُ بقراءتها، وفي كثيرٍ من الأوقات كنتُ أشعر كما أمل: روحي تنظر إلى الأبطال وتراقب، تحب هذا، تأسى على هذه، إلخ.

نهى:

- وهو المطلوب، إذَن الخطوة القادمة هي: سأرسل الرواية إلى المسابقة، وبعد فترةٍ سأقوم بعمل صفحةٍ عن الكتاب ولينا قشوني.

ياسين:

- سيهدرون دمكِ

نهى ضاحكةً:

- فلننتظر لنرى ما ستؤول إليه رواية : *أمل حياتي*.*

***

شكرٌ خاصٌ

لكلٍ من:

أبنائي فهم أكثر من تحملوا تقوقعي بعيدًا عنهم وأنا أكتب، وهم من يحلمون معي بالفوز يومًا ما بجائزةٍ ما. *

إلهام عوض التي اقتبست حوارًا لها كتبته على الفيس بوك وأضاف لروايتي عبقًا خاصًا.*

رضوى عاشور رحمها الله التي عرفتُها عبر كتاباتها وتعلمت منها الكثير. *

الصديقة فاطيما يوسف (فاطمة الورد) *

أخصائية تربية خاصة (تنمية مهارات وتعديل سلوك) والتي تحدثتُ معها كثيرًا عن الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ومرضى التوحد والعلاج بالرسم؟

الفنانة الكاتبة والصديقة ماجدة المعداوي (مجداويتي) التي شرحت لي بالتفصيل كيفية تنفيذ الرسومات على الحوائط واستخدام السقالات. *

مريم يحيى (مريمة الصغيرة) قريبتي وصديقتي الصغيرة مراجعتي اللغوية. *

نعمة آل موسى (ننوش) التي صممت لي غلاف كتابي برقة العصافير ووداعة اليمام. *

دكتور .... طبيب التخدير الصديق والأخ الذي أطلق عليَّ منذ عدة سنوات: رضوى عاشور الصغيرة والذي أمدني بالمعلومات الطبية الخاصة بالرواية. *

لصديقٍ سألته لو كان بإمكانك اختيار اسمٍ لك ماذا كنتَ ستختار؟ فقال لي: مراد .. *

قلت له إذَن بطل روايتي سيكون مراد

جميع الأهل والأصدقاء مِمَّن شجعوني وتحملوا غيابي وتحملوا تقوقعي إلى جوار الكمبيوتر *

أو الورق والأقلام كما لو كنتُ أكتب روايتي لجائزة نوبل

صديقات راجعن معي الرواية لغويا ونحويا، لإعادة طباعتها مرة ثانية.*

نهى عاصم